p. 85, 91, 93, 94

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

للمؤلف

١ ـ الحب العذري	الطبعة الأولى	١٩٤٧
٢ ـ يحكى عن العرب		١٩٤٨
٣ ـ الأدب القصصي عند العرب		١٩٥٠
٤ ـ لغتي العربية	الكتاب الأول	١٩٥٣

Dominique Tourneau

177.6
Su94k2H
C.1

موسى سليمان

الحب العذري

الطبعة الأولى أيار ١٩٤٧

الطبعة الثانية أيار ١٩٥٤

موسى سليمان

الحبّ العذريّ

دار الثقافة
بيروت

Beirut, July 1956

لمحة تاريخية

في العشق عند الامم القديمة

●

جاء في الأساطير اليونانيّة القديمة أنّ الآلهة غضبت على الجنس البشريّ لوقاحته ، فوقف المشتري خطيباً بينهم وقال : « أظنني وجدتُ طريقةً لاضعاف الجنس البشريّ وتقليل وقاحته دون أن نشرع في هلاكهم . فسأشقّ كلّ واحدٍ منهم نصفين وبذا يضعفون جميعاً ... »

وهكذا كان ، وشقت الآلهة كلّ إنسان شقين كما يشقّ بعض الناس البيضة بشعرة ... وأخذ يسعى كلّ نصف للاتصال بنصفه الآخر فيُلقي أحدهما بذراعيه حول النصف الآخر مؤملاً أن يعودا الى ما كانا عليه . وتشاورت الأنصاف بعضها مع بعض فقرّرت الاّ تقوم بفعلٍ ما دون النصف الآخر فماتوا جوعاً وضعفاً ... فأشفق المشتري عليهم وفكّر في حيلةٍ اخرى ، وهي التي ينتجُ منها النسل بعد انضمام الرجل للمرأة . ومن هذا التاريخ وجد الحبّ المتبادل بين أفراد النّوع ، وهو الموفق بين طبائعهم الأصليه. وغايته جعل الأثنين واحداً وتخفيف هول المصاب على الأنصاف المنشقة .

فكل واحـــد من الجنس البشريّ هو نصفٌ ناقصٌ لواحد كامل ، وغايةُ كل منا هي البحث عن نصفه الآخر ١ .

بمثل هذه الحكايات الغريبة المستحبّة كان يتغنى هوميروس ابو الشعراء ، وبمثل هذه الأساطير السحريّة تغذّت مخيلة الشعب اليوناني القديم ، فأجلّ الحبّ وعظّمه وأحله من نفسه المحلّ الرفيع حتى وضعه في منزلة الآلهة .

قال هصيود : « إن الفوضى سادت الكون . ثم خُلقت الأرض فكانت اساساً ثابتاً لكل شيء ، وتلاها الحب في الخليقة ٢ .

وقال بارمنديس عن أصل الخلق : « إن الحبّ كان قبل غيره من الآلهة .. وهو منبع أعظم المنافع لبني الانسان » ٣ .

ولم يجد سقراط رفيقاً لايجاد الاتصال بين الخلود وبين طبيعتنا البشرية الفانية غير الحب ؛ لذلك طلب من بني البشر ان يكرموا الحب ويشرفوه كما كان يُجلّه هو .

أما افلاطون الحكيم فخصّ الحبّ بسفرٍ قيّمٍ من كتبه الثمينة هو كتابُ « المائدة » . والمائدة نشيدٌ عـــذبٌ من أناشيد الروح في تمجيد الحب وتقديسه .

وافلاطون هو القائل : ان الحب رب عظيم قادر ، وهو موضع إعجاب الارباب والناس لدواع كثيرة ٥ .

---

(١) مائدة افلاطون تعريب جمعة ص : ٢٣٨ ــ ٢٣٩ وتجد اثر هـــذه الاسطورة في كتاب محاضرات الادباء للاصبهاني ص : ٢٦٣

(٢) مائدة افلاطون ص : ٢١٩ . (٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) مائدة افلاطون ص : ٢٦٢ . (٥) مائدة افلاطون ص : ٢١٩ .

وهكذا نرى ان الأغريق ، وهم بُناة المدنيّة القديمة ، عرفوا ما للحب في الحياة من اهميـــة فعظّموه وقام شعراؤهم بتمجيـــده والتسبيح باسمه .

اماالفينيقيون فملأوا شواطىء بحرنا السخيّ بأساطيرهم الحبيّة الجميلة ، فعبقت مغاور بيبلوس وكهوفها ، وصخور أفقا الشامخة بانبل واروع اسطورة حبية سطّرها التاريخ .. لقد حفظهـــا التاريخ بين طياته باحرف من نور وهو لا يزال يعيد تمثيلها امام اعيننا سنة بعد سنة باحرف من الدّم هو دمُ بطلها الآله أدونيس :

« كالشجرة على ثمرتها . هكذا وجهي يظلل وجهك ومثـــل الحلية النفيسة ، أخبئـــك في أحشائي في الليل أعطيك غطاءك ، وفي النهـــار رداءك لا تخف ، لا تخف أيها الصغير الذي ربيته !! » [1]

هذه عشتروت ، إلهة الحب ، تغني لحبيبها تموز [2] بعد ان اجتازت الحواجز السبعة ، على صوت قيثارة حبيبها الذي عاد معها الى السماء .

وتحدّثنا بلتيس ، وهي امرأة تحدرت من أم يونانية وأب فينيقيّ ، وقد عاشت منذ أربعة وعشرين قرناً ، تحدثنا عن حبها المقدس ، ذلك الحب الذي عاشت من اجله وماتت في سبيله . واذا ما ذكرت الأساطير بلتيس فيجب أن تذكر معها هذه البلاد السمراء بلاد الشرق ، حيث تسيطر الهيبة ويخيم السكون والرهبة ، بلتيس المرأة الشاعرة التي تقطعت أوتار نايها ، يوم توقف قلبها عن الحب والخفقان .

---

(١) كتاب الاجيال – عبدالله غانم ص : ٢١

(٢) تموز اسم آخر لأدونيس

بلتيس ، التي غنّت العالم حبها بشعرٍ موسيقيّ أشجى من الحب وأنقى من الجمال :

« تتدثر بعض النساء بالصوف الناصع البياض ،
ويلبس بعضهن الحرير والذهب ، ويتزين البعض الآخر بالازاهر والاوراق الخضراء والعناقيد !!
أما أنا (بلتيس) فلا أطيق الحياة إلا عريانة !
فخذني يا حبيبي ، كما أنا ، بلا ثوب ، ولا حلى ولا نعال ،
دونك بلتيس وحدها ... وحدها ...
إنّ شعري لم يتعرف الى سواد غير سواده ،
وشفتي الحمراوين ، لا اثر للتصنع فيهما !
إن ذوائبي تتهادى حولي ، حرّة ، مستديرة ، كأنها الريش الناعم!
فخذني يا حبيبي كما صنعتني امي ، في ليلة من ليالي الحب .
واذا ما نلت اعجابك ورضاك ، وانا من أنا ، فلا تنس ان تهمس ذلك في أذني » . ١

ولنعد الى الزمن البعيد ، الى الفراعنة القدماء ، مع الكاتبة مدام دي‌تنير ٢ فنراها تصور الفتاة المصرية القديمة شبيهة بمغنية معبد أمون التي ترقد مومياؤها في نعش من البلور في المتحف البريطاني ...

ها هي تناولهـــا القيثارة ، وقد رسمت عليهـــا مختلف الوجوه وشتّى العصافير .

---

(١) Louïys Pierre : Les Chansons de Bilitis pp. 86-87.
(٢) تاريخ الحب : مارسيل تنير ، ترجمة ابراهيم المصري ص : ١٠

ها هي تغني قصيدة من الشعر المصري القديم :

« يا صديقي الجميل ! أتمنّى أن أعيش واياك كامرأتك.

أتمنى ان تضع ذراعك على ذراعي ، وتمضي وفق هواك ،

وعندئذ أشكو لقلبي المحبوس في صدرك ، كل آلامي .

لو أنك ، يا أخي الاكبر ، لا تزورني الليلة ، فلا بد ان أصبح كسكان القبور .

أولست أنت الصحة والحياة ؟

أولست أنت حامل الفرح والصحة الى قلبي الذي يبحث عنك ؟

ان جماهير الاطيار تتلاقى على النهر ولكني انصرف عنها

ولا أفكر الا فيك، ياغرامي، لان قلبي معقود بقلبك انت ! »[1]

ويجيبها الفتى المصري العاشق بقوله :

« أريد ان ارقد بحجرتي لاني مريض ولأن الجيران قد وفدوا لزيارتي .

آه لو ترافقهم أختي [2] لاستطاعت اذن رد الاطباء عني لانها وحدها تعرف سر مرضي [3] .

آه عندما تأتي أختي

وبعين الحب أنظر اليها

فأني أضمها الى قلبي الخافق

---

(١) تاريخ الحب : مارسيل دي تنير ص : ٩

(٢) كان العاشق في مصر القديمة ينادي معشوقته يا اختي

(٣) تاريخ الحب ص : ٩ و ١٠

وبين ذراعي أطوقها لاني لها ولانها لي...
آه ... ان عناقها الحنون
يشبع غرامي
وعطور بلاد « بونت »
تعطرني بحلاوتها
ولما تطبق شفتيها على شفتي أثمل ولا احتاج الى خمر » [1]

●

« يا الهي ، حبيبي كم يسرك ان تذهب معي ،
الى البركة لأستحم في حضرتك ،
حتى استطيع ان اسبح لك بان ترى جمالي ،
في ردائي الكتاني الملكي ،
عندما يكون مبللا ... (ملتصقاً بالجسد) ،
وأسبح فوق سطح الماء معك ،
وأهبط الى قاع البركة ،
وأظهر قافلة نحوك ومعي سمكة حمراء ،
حيث ترقد بجمال على اصابعي .
تعال وانظر الي... ان حب حبيبتي على ذلك الجانب (الشاطىء)
وبيننا مجرى من الماء ،
ويرقد هناك على الشاطىء الرملي تمساح ،
ولكن عندما اهبط الى الماء اطأ الفيضان ،

---

(١) محمد صابر : ادب الفراعنة ص : ١٦٨

بقلب جرىء على المياه ،
وتكون المياه كاليابسة تحت قدمي ،
ان حبها يقوّيني ...
بل انها تسحر المياه لاجلي !
انني أرى حبيبتي قادمة ، فليفرح قلبي !
ولتنفرج ذراعاي لاضمها !
وفي حضرتها يفرح قلبي في مكانه ... مثل الابدية
واذا ضممتها الى صدري وفتحت ذراعيها
فأكون كمن عُطر من عطور « بونت » (اي عطرته برائحتها الزكية)
واذا ما قبلتها من شفتيها ، وهما مفتوحتان فاني لسعيد بدون خمر ... » ١

ففي مثل هذه الاجواء العابقة بشذا الحب ، المختمرة بانفاس الجمال ، المشبعة بأغاني الآلهة ، عاشت الشعوب القديمة المتمدنة ، تلك الشعوب التي حملت على أكفها روح الفن ، وعلى جبينها مشعل النور ، وفي قلبها دنيا الاساطير !..

---

(١) محمد صابر : ادب الفراعنة ص : ١٦٩ - ١٧٠

عصارة السحر

« اللهم ارحم العاشقين واعطف
عليهم قلوب المعشوقين »

ابو السائب المخزومي

العشق عند العرب

●

أما العرب فلم يكونوا أقلّ من هذه الشعوب فهماً للحب ومزاياه وشغفاً به وعلوقاً بشراكه وإن قصّروا ، في الزمن الأموي وهو الذي يعنينا في كتابنا هذا ، عن تعليله وتحليله وفهم فلسفته. لقد ألّفوا الكتب ونظموا الدواوين الشعرية الغزليّة تمجيداً للحب وحثّاً للاحداث على العشق . فهناك عشرات المؤلفين في هذا الفنّ من اهل العصر الاسلامي « مثل عيسى بن داب ، والشرقي بن القطامي، وهشام الكلبي ، والهيثم بن عدي [1] » . وهناك عشرات ، بل مئات الكتب الحبّية التي ألفت في مختلف العصور. « فقوت القلوب في أخبار المحب والمحبوب ، وديوان العاشقين لابن الأعرابيّ ، وامتزاج الأرواح للتميمي ، وتسريح النواظر ، والنزهة ، وروضة القلوب ، والروض النضير ، وعجيبُ الاتفاق في تطابق احوال العشّاق ، ومنازلُ الأحباب ، والزهرة لابن داود الأصفهاني، وتزيين الاسواق بتفصيل

(١) فهرست ابن النديم ص : ٤٢٥ ، المطبعة الرحمانية ، مصر.

اشواق العشاق لابن داود الانطاكي ، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة المغربي ، ومصارع العشاق للسرّاج ، واخبار النساء لابن الجوزي ، وكتاب عروة وعفراء ، وكتاب جميل وبثينة ، وكتاب كثير عزّة ، وقيس ولبنى ، ومجنون ليلى ، وكتاب وضّاح اليمن وأمّ البنين ، وكتاب عمر بن ابي ربيعة ، وكتاب عاشق الكفّ وعاشق الصورة[1] ، كلها اسماء لكتب حبيّة مختلفة تحمل الينا أخبار العشاق والمغرمين ، وفيها الطريف المستحبّ والسخيفُ الموضوع . وقد وصل الينا بعضها والبعض الآخر لم تقع عليه عين . وهذه المصنّفات ، وإن كانت غير مبوبة تبويباً علمياً ، او منظّمة تنظيماً عقلياً ، كما هو الحال في اكثر الكتب العربية القديمة ، فهي جامعة لمعظم الاخبار الحبيّة المسموعة عن العرب وعن سائر الامم ، لا يستطيع القارىء بعد الاطّلاع عليها او على بعضها إلا ان يدهش لغرابتها وطرافتها كما سنرى .

والذي يدل دلالةً صريحة على تقدير العرب لفضائل الحب الروحية ومزاياه العالية اهتمام الرجال العظام منهم بالمحبين المتيمين وشفقتهم على العشاق وحثُّ بعض ادبائهم الاحداثَ على العشق . سأل ذو الرئاستين أحداثاً من أحداث اهله : هل فيكم عاشق ؟ فقالوا لا ، فقال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان العي ، ويفتح حيلة البليد والمخبّل ، ويبعث على التنظف وتحسن اللباس وتطييب المطعم ، ويدعو الى الحركة

---

(١) الفهرست ص: ٤٢٥ و٤٢٦ وما لا يوجد من هذه الاسماء في الفهرست موجود هنا وهناك في بعض المصادر كتزيين الاسواق وديوان الصبابة .

والذكاء وتشرُّف الهمة[1] . »

والروايات كثيرة عن رجال العرب العظام الذين اشفقوا على العشاق . منهم المهدي وقد نمي اليه يوماً ان غلاماً شاباً له ذؤابتان كأنه قضيب فضة ، موجود في خلوة مع جارية في إحدى غرف القصر . ولما احضر الشاب بين يدي الخليفة، فُهم انه كان يحب الجارية قبل بيعها الى امير المؤمنين . فجاءها معرضاً حياته للخطر لعله يحظى برؤيتها . وما كاد المهدي يسمع كلامه حتى امر بضرب عنقه واحضار سيف ونِطع . فلما أتي بذلك وأجلس الغلام في النطع تذكّر حبيبته وهاجت قريحته فراح يتغنى بها:

ولقد ذكرتك والذي أنا عبده
والسيفُ بين ذؤابتي مسلول

فأطرق المهدي واغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : يا غلام إئتني بأزار ، فأتي به فقال : الففها به جميعاً ... واخرجها عن قصري . ففعل ذلك[2] .

وروى ابو محمد بن حزم قال : « قال رجل لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . يا امير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها . فقال عمر ذاك مما لا يُملك[3] . »

---

(١) مصارع العشاق للسراج ص : ٢٣٠
(٢) مصارع العشاق ص : ٦٨
(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن الجوزية ص : ١٥٦

وروى الاصمعي عن عمر بن الخطاب ايضاً قوله : « لو ادركت عفراء وعروة لجمعتُ بينهما [1] . »

وذكر التميمي في كتابه المسمّى بامتزاج النفوس « أنّ معاوية ابن أبي سفيان اشترى جارية من البحرين فأعجب بها اعجاباً شديداً فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها:

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى
طريراً وسيماً بعدُ ما طرّ شاربه

فسألها فقالت : هو ابن عمي. فردّها اليه وفي قلبه منها ! [2] . »

وجاءت جاريةٌ الى عثمان بن عفّان تستعدي على رجل من الانصار لأنها كلفت بابن اخيه فخيّرَ الخليفة الانصاري قائلاً : « إما أن تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي . فقال : أشهدك يا امير المؤمنين أنها له [3] . »

وكذلك رووا أن ابا بكر الصدّيق بعث الى مولى إحدى الجواري المغرمات فاشتراها منه وبعث بها الى حبيبها وقال: « هؤلاء فِتَن الرجال وكم قد مات بهنّ من كريم وعطب عليهنّ من سليم [4] » حتى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الصالح ، كان يصل بين القلوب

---

(١) كتاب اخبار النساء لابن قيم الجوزية ص: ٣٣
(٢) روضة المحبين ص : ٤٠٨
(٣) روضة المحبين ص : ٤٠٧
(٤) روضة المحبين ص : ٤٠٧

المتحابة عندما يتصل به خبر احد العشاق الذين لا تساعدهم الظروف على الاجتماع بحبيباتهم [1] . »

وبلغ من جنون الرواة أن رووا الحكايات الجميلة عن المحبين وعشيقاتهم وهم في اقدس مكان من مشاعر الله . قال الزبير ابن بكار عن مصعب الزبيري عن عبدالرحمن بن ابي الحسن: « خرج ابو حازم يرمي الجمار ومعه قومٌ متعبدون ، وهو يكلمهم ويحدّثهم ويقص عليهم . فبينما هو يمشي وهم معه اذ نظر الى فتاة مستترة بخمارها ترمي الناس بطَرْفها يَمنة ويَسرة ، وقد شغلت الناس وهم ينظرون اليها مبهوتين ، وقد خبط بعضهم بعضاً في الطريق ، فرآها ابو حازم فقال: يا هذه اتقي الله فانك في مشعرٍ من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنت الناس فاضربي بخمارك على جيبك فان الله عزّ وجل يقول: (وليضربنَ بخُمرهنّ على جيوبهن [2]) فأقبلت تضحك من كلامه وقالت: اني والله:

من اللائي لم يحجُبن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البريء المغفلا [3]

فأقبل ابو حازم على اصحابه وقال : « تعالوا ندعو الله ان لا يعذّب هذه الصورة الحسناء بالنّار. فجعل يدعو واصحابه يؤمّنون [4]. »

---

(١) مصارع العشاق ص : ٦٨
(٢) سورة النور ، الآية ٣١
(٣) البيت للعرجي
(٤) روضة المحبين ص: ٢٤١-٢٤٢ وفي الاغاني وتحفة العروس: قال وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : اما لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها : آغربي قبحك الله ولكنه ظرف عباد الحجاز

وكانت الصلاة رحمةً واجبةً على الوجه الجميل في نظر بعضهم. قال يحيى بن سفيان: «رأيتُ بمصر جاريةً بيعت بألف دينار فما رأيتُ وجهاً قط احسن من وجهها صلى الله عليها!» فقال له احدهم: «يا ابا زكريا مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك؟!» فقال: «وما تنكرُ عليَّ من ذلك؟ صلى الله عليها وعلى كل مليحٍ يا ابن اخي! الصلاة رحمة[1].»

وروي عن الأصمعي انه قال: «بينا انا اطوف بالبيت اذا انا بجارية «متعلقة» باستار الكعبة وهي تقول:

لن يقبل الله من معشوقةٍ عملاً
يوماً ووامقُها غضبانُ مهجورُ
وكيف يأجرُها في قتل عاشقها
لكن عاشقها في ذاك مأجورُ

فقلت لها: يرحمك الله أفي مثل هذا الموضع تنشدين هذا؟ فقالت اليك عني يا عراقي لأرهقنّك. فقلتُ لها وما الحب؟ فقالت: هيهات جلّ والله عن ان يُحصى وخفي عن ان يُرى. فهو كامنٌ ككمون النار في حَجرها، إن قَدحتَهُ ورى وإن تركته توارى. ثم انشأت تقول:

إنسٌ غرائر ما همن بريبةٍ
كظباء مكة صيدُهنَّ حرامُ

---

(١) اخبار النساء للجوزي ص: ٨

يُحسبن من لين الحديث فواسقاً
ويصُدّهنّ عن الحنا الاسلام [1]

وكان ابو السّائب المخزومي احد القراء والفقهاء فرؤي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

« اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين . فقيل له في ذلك فقال : الدعاء لهم افضل من عُمرةٍ في الجعرانة [2] »

ومن اجمل ما يروى عن الحسن البصري وهو من هو في العلم والدين ان امرأة جميلة دخلت عليه فقالت : « يا ابا سعيد أيحلّ للرجال ان يتزوجوا على النساء ؟ قال نعم . قالت وعلى مثلي ؟ ثم سفرت عن وجه لم يُرَ مثله حسناً وقالت : يا ابا سعيد لا تُفتوا الرجال بهذا . ثم ولّت . فقال الحسن : ما على رجل كانت هذه في بيته ما فاته من الدنيا [3] . »

ورووا ان الحارث بن خالد المخزومي ، والي مكة لعبد الملك ابن مروان ، استهيم بحب عائشة بنت طلحة ، وكانت ذات جمال ومكانة وشرف . وحجّت عام ولايته فأرسلت اليه تسأله ان يؤخر الصلاة حتى تفرغ من طوافها ففعل . فأنكر اهلُ الموسم ذلك من فعله واعظموه ، فعزله عبدالملك وكتب اليه يؤنبه فيما فعل ، فقال: ما

---

(١) الزهرة لابن داود الاصفهاني ص : ٦٧ - ٦٨
(٢) ديوان الصبابة ج ١ ص: ٣٠ وروضة المحبين ص : ٤١٧
(٣) روضة المحبين ص : ٢٤٢

أهونَ والله غضبه اذا رَضِيَت ! والله لو لم تفرغ مـــن طوافها الى الليل لأخّرتُ الصلاة الى الليل [1] !

ولم يقف الرواة عند هذا الحد في رواياتهم فقـــد زعموا ان النبي العربي الكريم حدّث ان من مات محباً عاشقاً فالشهادة أجره . « من عشق فظفر ، فعفّ فمات ، مات شهيداً [2] . »

« ولقد كنا روينا عن سعيدٍ عن قتاده
عن سعيد بن المسيّب أن سعد بن عباده
قال : من مات محباً فله أجرُ الشهادة [3] »

وحدّث محمد بن داود الاصبهاني قال: «قال سُويد: حدّثنا بنُ سعيد قال : حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عشق و كتم وعفّ وصبر غفر الله له وادخله الجنّة [4] » وكان النبي العربي يحب الجمـــال ويقدر الحسن اينما كان . قال :

« اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه [5] »

وقال ايضاً : « اذا خرج الرجلُ الى اخوانه فليجملنّ نفسه فإن

---

(١) الاغاني بولاق ج ٣ : ١٠٣
(٢) مصارع العشاق ص: ٤
(٣) مصارع العشاق ص : ٤٢٠
(٤) مصارع ص : ٤
(٥) ديوان الصبابة ص : ٣٩ ويروى اطلبوا الخير ... راجع في روضة المحبين ص: ١٣٥ تعليقاً على هذا الحديث. ورسالة ابن سينا في العشق ص:١٦

الله جميلٌ يحب الجمال [1] . »

وتحدث عقبة بن عامر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليعجب من شاب لا صبوة له [2] » وعن ابن عباس انه قال : قال رسول الله (ص) : « النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث الفلج [3] . »

وقيل إن عائشة حدثت أن النبي كان يقبّلها وهو صائم . وسئلت ام سلمة في ذلك فلم تنكر بل قالت : إن رسول الله (ص) كان اذا رأى عائشة لم يتمالك عنها . أما انا فلا [4] . وقال بيان عن الشعبي إن عائشة كانت أحب امهات المؤمنين الى قلب النبي . وفرض عمر بن الخطّاب لأمهات المؤمنين عشرة الاف عشرة الاف وزاد عائشة الفين وقال: إنها حبيبة رسول الله !! وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول : حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق حبيبة رسول رب العالمين المبرأة من فوق سبع سماوات [5] . فهذا الود والحنين من النبي لعائشة وهذه القُبلات الزكية تحدث عنها بفخر وكبرياء هي التي تجعل من النبي العربي الكريم انساناً صحيحاً يشعر بشعور الناس ويأنس قلبه وعيناه الى الوجه الوسيم الجميل كما يأنس كل انسان مرهف الشعور ، دقيق العواطف . ولله ما اروع قوله وأنبل هذا التقرّب منه الى ابناء البشر

---

(١) ديوان الصبابة ص: ٣٨ (٢) تزيين الاسواق ١ : ٧ وروضة المحبين ص: ٣٤٧ رواه احمد بن حنبل في مسنده (٣) اخبار النساء ص: ٨ (٤) روضة المحبين ص: ١٨٦ (٥) روضة المحبين ص: ١٨٧

عندما يقول : « جُعلت قرة عيني في الصلاة ، وحبّب إلي النساء والطّيب . الجائع يشبع والظمآن يُروى ، وانا لا اشبع من حب الصّلاة والنساء [1] . »

وهكذا نرى ان المرأة العربية تمتعت في هذا العصر بحرية اجتماعية واسعة ، ففرضت بعض النساء نفوسهن على مجتمعهن وتألقت في الجو الأدبي الاجتماعي اسماء نسائية كثيرة كسُكينة بنت الحسين ، وفاطمة بنت عبد الملك ، وعاتكة بنت يزيد ، وعائشة بنت طلحة ، وام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك وغيرهن كثيرات . وبلغت الحريةُ بسكينة ان احلفت زوجها حين تزوجته ، ان لا يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً [2] وقدمت مكّة مرةً فأتاها الغريضُ ومعبد فغنياها :

عوجي علينا ربةَ الهودج
إنك إن لم تفعلي تُحرجي

فقالت والله مالكما مثلٌ إلا الجَدْيين الحار والبارد ، لا يُدرى ايها اطيب [3] . وكانت جميلةً ولها ابنة لا تقل عنها جمالاً قالت فيها بعد ان البستها درّاً كثيراً : والله ما البستها إياه إلا لتفضحه . وكانت

---

(١) روضة المحبين ص: ٢٢٠ وراجع ايضاً فتح‌الله حمزة : حقوق المرأة في الاسلام ص: ٢٢ و٢٤ وراجع ايضاً الادهمي : مرآة النساء ص: ٧

(٢) الاغاني بولاق ١٧ : ٩٣

(٣) عيون الاخبار ٤ : ٩٠

خبيرة بأحوال العشاق ، عليمة بما يكنّون وما يشعرون . ذكروا انها ركبت في جواريها فمرت بعروة بن الليثي وهـــو يغني فقالت لجواريها: من الشيخ ؟ قالوا عروة ، فعدلت نحوه ثم قالت: يا ابا النمام انت تزعم انك لم تعشق قط وانت تقول :

قالت وابثثهـــا وجدي فبحتُ به
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألستَ تبصر من حولي ؟ فقلت لها
غطّى هواك وما القى على بصري

كل من ترى حولي من جواري أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط [1] .

ولأمّ البنين قصص كثيرة في ميادين الحب والجرأة الأدبية.

قالت مرة لعزة صاحبة كثيّر : « اخبريني عن قول كثيّر :

قضى كلُّ ذي دين فوفّى غريمه
وعزّة ممطـــول معنّى غريمهـــا

اخبريني ما ذلك الدين ؟ قالت: وعدته قبلة فخرجت منها، قالت أم البنين: أنجزيها وعليّ إثمها [2] »

ولبعض الخلفاء وغيرهم من أشراف العرب الأولين وأدبائهم اقوال

«١» الزهرة ص: ٣١٤-٣١٥، راجع ايضاً قصص العرب ج ٢: ص: ٢٥٣ تجد بيتين آخرين .

(٢) عيون الاخبار ج ٤ : ٩٢

كثيرة في الجمال وانواعه تبيّن لنا، فضلاً عن اهتمامهم الشديد بالمرأة، كيف كانوا ينظرون الى الحسن وكيف كانوا يقدّرونه ... كانت عائشة تقول : البياض نصفُ الحسن . كذلك قال عمر بن الخطاب : اذا تمّ بياضُ المرأة في حسن شعرها فقد تمّ حسنها [١] . وكان علي بن ابي طالب يضع الصباحة أولى خصائص بني قومه ويفاخر بها [٢]. وكان ابن الاعرابي يقول: الحلاوة في العينين والجمال في الانف ، والملاحة في الفم [٣] ! ولهم نظرات في المرأة وجمالها لا تخلو من الصواب والطرافة. من ذلك رأى للحجاج : لا يحسن نحر المرأة ، حتى يعظم ثدياها [٤] . وكان علي يقول: لا تحسن المرأة حتى تروّي الرضيع وتدفىء الضجيع [٥]. اما قوله في السمراء ففيه إعجاب ظاهر بجمال السمراوات وسحرهن الاخاذ قال : من تزوّج سمراء فطلقها فعليّ مهرها [٦] .

وبلغ من تقدير احد المعلمين للجمال أنه كان يُقعد ابناء المياسير والحسان الوجوه في الظل ويقعد الآخرين في الشمس ويقول : يا اهل الجنة ابرقوا في وجوه اهل النار [٧] ! ورووا ان كثيرين من علماء الحديث والمفتين ورجال الدين كالشافعي وأنس بن مالك وعمرو بن سفيان وابي حنيفة وغيرهم حللوا للعشاق ما لم يحلل لغيرهم . فالنظر الى المرأة المخطوبة من قبل خطيبها واجب . ألم يقل النبي الكريم

---

(١) روضة المحبين ص: ٢٥٨-٢٥٩
(٢) عيون الاخبار ٤ : ٢٥
(٣) عيون الاخبار ٤ : ٢٧
(٤) عيون الاخبار ٤ : ٣٠
(٥) نفس المصدر والصفحة
(٦) نفس المصدر ص ٤١
(٧) نفس المصدر ص: ٣٩

لخاطبٍ جاء يستشيره في نكاح خطيبته وكان لم يرها بعد : « اذهب فانظر اليها[1] »؟ وقبلة العاشق لم يحرّمها الله. ألم يفتِ بذلك كثيرون؟ قال ابن سفيان بن مُرخية:

إنا سألنـــا مالكاً وقرينـــه
ليثَ بن سعد عن لثام الوامق
أيجوز ؟ قالا والذي خلق الورى
ما حرّم الرحمن قبلة عاشق [2]

وروي عن عبد الله بن عمر انه قال : خرج سهمي يوم جلولاء جارية كأنّ عنقها ابريق فضّة فما ملكت نفسي ان قمت اليها فقبلتها.

فهذه الاحاديث ، ومثلها كثير ، تروى عن النبي الكريم وهذه الحكايات الأدبية المشحونة بها كتب الأدب العربي القديم عن الخلفاء والامراء العظام والعلماء ورجال الدين شجعت العشاق والمغرمين على التهادي في حبهم وعشقهم فكانت لنا الحكايات الغريبـــة المستبعدة الوقوع ، وكان لنا هذا الفن القصصي الغزلي الذي عرف في صـــدر الاسلام ، وكانت لنا هذه النهضة الشعرية الغزليّة التي حمل لواءها عمر ابن ابي ربيعة من ناحية وجميل بن معمر من ناحية اخرى .

وأطلق الرّواة لأنفسهم العنان فراحوا يجمعون بين العشاق في الاحلام ويحيكون حولهم القصص الخرافية ، الفكاهية .

---

(١) روضة المحبين ص: ١٢٣
(٢) روضة المحبين ص: ١٢٥

فهناك مغنية جميلة ترمي بنفسها في نهر دجلة من اجل عشيقها فيلحق بها ثم يتعانقان في الماء ليغرقا معاً [١].

وهناك رجل من بني أسد يعشق جارية بالكوفة فيتعاظم امره حتى يموت بحبها فيضع الناس كتاباً في ذلك [٢].

وهناك من يلقّب أحدَ العشاق بسيّد العاشقين ويدعو الناس لينحروا على قبره سبعين نحرة كما كبّر النبيّ على عمه حمزة سبعين تكبيرة [٣].

وهناك الحبيبة المولهة التي يُقطع لحمها قطعاً قطعاً وهي لا تشعر لأن الطبيب كان يذكر امامها اسم الحبيب [٤]!

وهناك المرأة التي تنذر الصمت الأبكم ويلازمها الخرس مدّة حياتها بعد موت زوجها لانه كان معجباً بنغمتها فتوفي فآلت الا تتكلم بعده ابداً [٥].

ويتقدّم احدُ الناس من عالم جليل يشكو له ابنه لأنه قد عشق فيجيبه العالم: «الحمد لله. الآن رقّت حواشيه [٦]». وقيل لآخر مثل ذلك فقال: «اذا عشق لطف [٧]».

وتمادى العشاق في عشقهم فلم يرَ الحبيب حرجاً او اثماً في أن يتذلل امام حبيبه بل اخذوا يتفاخرون بذلك. قال ابو زهير المديني:

---

(١) مصارع العشاق ص: ٧٢
(٢) مصارع ص: ٤١٧
(٣) مصارع ص: ٤١٩
(٤) مصارع ص: ٢٧
(٥) اخبار النساء ص: ٦٨
(٦) ديوان الصبابة ص: ٢٤
(٧) ديوان الصبابة ص: ٢٤

العشق هو الجنون وهو داء اهل الظرف [1] . واخذوا يعزُّون العشاق الذين لا تحبهم حبيباتهم بمثل هذه الحكاية الطريفة : قال بعضهم : « وجدت بمكة شاباً مصفرّاً ناحلاً فسألته عن حاله فقال : بُليت بوصيفة فذهب رأس مالي بثمنها ونفقتها وليست تحبني . فقلت استمتع بها وعدّها بعض نعم الدنيا والآخرة . هل تحبّك العافية ؟ هل تحبك الصحة ؟ هل يحبك المال ؟ هل تحبك الجنة ؟ فقال لا. فقلت اليس تحب كل ذلك . وتتمتع به مع انه لا يحبك ؟ فهبها بعض نعم دنياك وآخرتك . فقام كالمسرور ورجع اليها وساهلها في سوء خلقها حتى رجع الله تعالى بقلبها اليه وطاب عيشه معها [2] .

وجاء في روضة المحبين عن المحبّة أنها شجرة في القلب ، عروقها الذلّ للمحبوب [3] . وفي موضع آخر « والحب مبنيّ على الذلّ ولا يأنف العزيز الذي لا يذل لشيء من ذلّه لمحبوبه ، ولا يعده نقصاً ولا عيباً بل كثيرٌ منهم يعدّ ذله عزاً [4] .

مساكين أهل الحب حتى قبورهم
عليها تراب الذل دون المقابر

أما العشيقات الكثيرات فلم يرين مذلة وهواناً في ان يمرغن خدودهنّ بتراب قبور احبائهن حزناً عليهم وتحسراً. وانتشرت هذه الطريقة في الادب. فالشاعر الغزلي عليه في الدرجة الاولى ان يتذلل

---

(١) مصارع العشاق ص: ٣
(٢) محاضرات الادباء ٢ : ٢٣
(٣) روضة المحبين ص: ٤٣٦
(٤) روضة المحبين ص: ٣٠١-٣٠٢

امام الحبيبة وان يسفح ماء وجهه و كبرياءه امامها ، مظهراً لها شدة هيامه وتدلهه في حبها وإلا فليس هو بعاشق . ألم يعب ابن ابي عتيق على عمر بن ابي ربيعة افتخاره بنفسه وتشبّبه بجماله عندما سمعه ينشد ابياته الطريفة المعروفة :

« قلن يسترضينها : منيتنا
لو أتانا اليوم في سرّ عمر !

بينما يذكرني ابصرنني
دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قلن تعرفن الفتى ؟ قلن نعم
قد عرفناه وهل يخفى القمر[1] ؟ »

فقال له ابن ابي عتيق : « انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك . كان ينبغي ان تقول : قلت لها فقالت لي ، فوضعتُ خدّي فوطئت عليه . »

فأنت ترى من هذا ومما مرّ سابقاً أن العشّاق ليسوا من طينة البشر ، وأن البشر اخذوا يحيطون العشاق بهالات القداسة والغرابة فيزعمون لهم ما لا يدخل في عقل ويدّعون لهم الحكايات العجيبة الغريبة . « فذنوب العشاق ذنوب اضطرار لا ذنوب اختيار[2] » اما قبورهم فأعظم القبور وترابها تراب مقدّس « ... لا والله ما أذلّ

---

(١) شعر عمر ابن ابي ربيعة ، المجلد الاول ليبسك ١٣١٨ ص : ٣١
(٢) مصارع العشاق ص: ٣

الله تراب قبر عاشق قطّ بل أجلّه وشرّفه ونضره وحسّنه [1] ».

ومثل هذه الحكايات والروايات يملأ الكتب الأدبية العربية ، وهي ، على ما فيها من مبالغات فاحشة ، صورة حيّة لحياة القوم الاجتماعية ، تمثّل لنا تفننهم الغريب في حبّهم ومبلغ اهتمامهم بعشاقهم ، فضلاً عن الروح الفكهة ، الأدبية التي تنضح بها كل من هذه الحكايات المستملحة !!

وما قولك في قبري عُروة وعفراء ، بين صنعاء ومكة ، وفي الشجرتين اللتين نبتتا عليهما حتى اذا صارتا على قامة التفّت اغصانها فكان الناس يقولون تآلفا في الحياة وفي الممات [2] ؟! ما قولك في ذلك وفي امثاله من الحكايات ؟ إنه لتفنن لم يسبقهم اليه شعب آخر على ما أرى ! وامعنوا في هذا التفنن حتى ادّعى الثعالبي في فقه اللغة : أن التناكح وقع بين الأنس والجن [3] . كذلك زعموا أن عمرو بن يربوع بن حنظلة تزوج سعلاة [4] . حتى النخيل ، نخيل العرب ، كان يعشق حتى يبرّحه العشق [5] . أما عن عشق الحيوانات والطيور وعن حنين بعضها الى بعض فحدّث ولا حرج [6] . ألم تسمع بانشى ذلك البطّ التي ماتت حزناً على اليفها لأنه ذبح ؟ [7] .

ألم تسمع بقصة ذلك البلبل العجيبه ، بلبل امرأة الحكم ، وكان

---

(١) مصارع ص: ٨٥
(٢) مصارع العشاق ص: ١٧٢
(٣) ديوان الصبابة ١ : ٥٧
(٤) مواسم الادب ١: ٢٨٧
(٥) مصارع ص: ٣٠٨
(٦) ديوان الصبابة ٢ : ٧٣
(٧) مصارع العشاق ص : ٤٢٤

ينظر اليها وهو في قفصه فيصفر لها ؟ فلما رآها قد دعت يوسف تراوده عن نفسه ناداه بالعبرانية . يا يوسف لا تزنِ فأن الطير فينا اذا زنى تناثر ريشه [1] . وهذه الطيور ، طيور العرب العاشقة ، تفهم الشعر والغزل ، ولها أناشيد تتغزل بها منها انشوده الزّاغ [2] :

أنـا الزّاغ ابو عجوة
أنا ابن الليث واللبوة
أحبُّ الرّاح والرّيحان
والنشـوة والقهـــوة ! !

ولو أردنا تعداد مثل هـــذه الروايات الطريفة لاستغرق ذلك صفحاتٍ وصفحات . ولكننا نكتفي بالقليل منها على ان نلمّ ببعض التعاريف للحب عنـــد العرب او بالأحرى في نظر رواتهم وبعض علمائهم وادبائهم . لقد اخذ هؤلاء الرواة ، وقد اشتهر في ميدان الحب والعشق اكثر من عاشق ، يهتمّون بتدوين الكتب ووضع التعاريف المختلفة للعشق . فابن قيّم الجوزية يضع في كتابه « روضة المحبين [3] » نحو خمسين اسماً للحب . فهو المحبة ، والعلاقة ، والهوى ، والصبوة ، والصبابة ، والشغف ، والمقة ، والوجد ، والكلف ، والعشق ، والجوى ، والشوق ، والشجو ، والتباريح ، والشجن ، والارق ، واللوعـــة ،

---

(١) مصارع ص : ٥٣
(٢) مصارع ص : ٥٢
(٣) روضة المحبين من ص : ١٩ الى ٦١

والجنون ، والفتون واللاعج الخ الخ... ويأخذ في تحليل كل نوع من هذه الانواع وينظر في اشتقاقها ونسبة بعضها الى بعضهـــا في بحث مستفيض يستغرق نحو اربعين صفحة من كتابه .

ويبحث الراغب الاصبهاني في كتابه « محاضرات الأدباء [1] » في الهوى واحوال العشاق وماهيّة العشق وفروعه وانواعه فيقول :

قال العلماء : الهوى انواع اوله العلاقة وهو الشيء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير محبـــة . والحب اسم مشترك يجمع ضروباً من ميل النفس كحب الولد والمال ثم الهوى ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله والهيام والتتيّم وهو ارفع درجات الحب لأنه التعبّد .

كذلك يصنف النويري الحب في كتابه « نهاية الأرب [2] » الى اصناف ومراتب . فهناك الغزل والنسيب والهوى ، والمحبة والعشق . وهناك المودة التي تقوى فتصير محبة ثم هوى، ثم عشقاً ثم يصير العشق تتيّماً ثم يزيد التتيّم فيصير ولهاً (والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطّل عن احوال التمييز)

وقد تضاربت آراؤهم في تحديد العشق وتعريفه إذ فهمه الحضريون على طريقتهم والأعراب على طريقة اخرى . وذلك لأن الحب ليس من المواضيع التي يسهل تعريفها .

---

(١) محاضرات الادباء ٢ : ١٧

(٢) نهاية الارب ج ٢ : ١٣٤ و ١٣٨

وحكي عن الاصمعي ايضاً انه حدّد العشق بقوله : « اذا تقاربت الاخلاق المشاكلة وتمازجت الارواح المشابهة لمح نور ساطع يستضيء به العقل وتهتز لاشراقه طباع الحياة ، ويتصور من ذلك النور خلق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى العشق [1] . » ومن لطيف ما ذكروه عن اسباب العشق ونتائجه قول احد الحكماء الأوائل وقد ذكره النويري قال [2] :

« وقد ذكر حكماء الأوائل أنه اذا وقعت القبل بين المتحابّين ووصلت بلّة من ريق كل واحد منهما الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد . وهكذا اذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه ، فانه يخرج مع ذلك النفس شيء من نسيم كل واحد منهما فيختلط باجزاء الهواء ، فاذا استنشق من ذلك الهواء دخل في الحياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه كسريان النور في جسم البلور ، ووصل بعضه الى جرم الرئة ثم الى القلب فيدبّ في العروق الضوارب في جميع البدن . فينعقد في بدن هذا ما تحلّل من بدن هذا فيصير مزاجاً فيتولد به العشق وينمى ... »

ومدح العشق كثيرون وذمّه كثيرون . قالوا : « العشق يولّد الاخلاق الحميدة . وقالوا : إنه لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجّع الجبان ويصفي الأذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً » . وانهموا

---

(١) نهاية الارب ٢ : ١٣٧

(٢) نهاية الارب ٢ : ١٤٧

من لم يحب باشنع التهم والصقوا به اشنع الاوصاف : فهـو رديء التركيب ، جافي الطبع ، كزّ المعاطف . وقالوا : لا يسلم احد من العشق إلا الجلف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم . فاما من طبعه ادنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز فهيهات [1] !

قال الجاحظ في احدى رسائله : « تأملنا شأن الدنيا فوجدنا اكبر نعيمها واكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبيه [2] » . وكثرت التعاريف للحب طبقاً لأذواق الادباء والظرفاء من الرواة العرب . فالعشق فن من فنون الجنون ، وهو تحريك الساكن وتسكين المتحرك . وهو **عصارة السحر** . فهذه العصارة السحرية هي التي جعلت لشعرائنا الغزلين هذه الشهرة الادبية وحبّبتهم الى قلوبنـا . لذلك سنحاول ، في هذه الدراسة الادبية ان نلمّ بهؤلاء الشعراء فننظر في سبب تسميتهم بالعذريين . وما هو حبهم العذري هـذا ، وما علاقته بالحب الافلاطوني . ندرس هذا الحب ونسبر غوره وعمقـه وشدة حرارته على ضوء الآثار الادبية التي خلفها لنا هؤلاء الشعراء ...

---

(١) نهاية الارب ج ٢ : ١٤٢ تجد جميع هذه الاقوال ومثلها كثير

(٢) ديوان الصبابة ج ١ : ١٢

سَرابُ الصَّحراء

« واني لارضى مـــن بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابلُهْ
بـــلا ، وبألا استطيع ، وبالمنى
وبالامل المرجوّ قـــد خاب آمله
وبالنظرة العجلى اذ الحول ينقضي
اواخره لا نلتقي واوائله »

جميل

الحب العذري

●

عرّف العرب قبضةً من شعرائهم الاسلاميين بالشعراء العذريين فمن هم هؤلاء الشعراء ؟ ولماذا نسبوا الى هذا الاسم ؟ وما هو هذا الحب العذري ؟ وأي علاقة تربطه بالحب الافلاطوني ؟

يقودنا الجواب حتماً الى البحث في بني عذرة وشهرتهم، وفي سبب نسبة الحب العذري اليهم .

يؤخذ من بعض اخبار الكتب الادبية العربية كالاغاني وغيره من كتب الاصول أن عذرة كانت قبيلة لها اعمال بجيدة في ايام العرب ، وأن رجالها من افصح الرجال بشهادة عبد الملك في قوله عن آل عذرة : « اولئك فصحاء الناس[1] » . وتروى الحكايات والقصص عن اشتهارهم بحبهم وميعانهم في ذلك الحب ورقتهم حتى الاغياث واليك بعضها :

---

(١) الاغاني ج ٧ : ٥٤ بولاق

روى ابراهيم بن سعد الزُهريّ قال : « أتاني رجل من بني عذرة لحاجة فجرى ذكرُ العشق والعشاق فقلتُ له : أنتم ارقّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنّا لأرقّ الناس قلوباً ولكن غلبتنا بنو عامر بجنونها [1] »

والظاهر أن العاشق العذري كان يستمدّ من ضعفه قوة ومن « المحاجر البلج والأعين الدعج » سلاحاً يَشهره في وجه خصومه الذين يعيّرونه حبه . قال ابو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجل من بني عذرة : « تعدّون موتكم في الحب مزية ، وانما ذلك من ضعف البنيه وعجز الروية ، فقال العذري : اما انكم لو رأيتم المحاجر البلج تُرشق بالأعين الدعج فوقها الحواجب الزج وتحتها المباسم الفلج والشفاه السُمر تفتر عن الثنايا الغرّ كأنها بَرَدُ الدُرّ لجعلتموها اللاّت والعزى ورفضتم الاسلام وراء ظهوركم [2] »

وسأل سعيد بن عقبة الهمداني أعرابياً قال : « ممن الفتى ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا . قال : عذري ورب الكعبة !! قال : وممّ ذاك ؟ قال : في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة [3] » . وهذه الصباحة في النساء العذريات وهذه العفة في الرجال كلفتهم غالياً . لقد دفعوا ثمنها دم أكبادهم وعصارة صدورهم .

---

(١) الاغاني ج ١ : ١٧٩ بولاق

(٢) زهر الآداب للحصري ج ٣ : ١٤١ مصارع العشاق ص:١٧ وديوان الصبابة ج ٢ : ٥٥ وتزيين الاسواق ج ١ : ١٠

(٣) مصارع ص :٣٥١، ديوان الصبابة ٢:٥٥، تزيين الاسواق ١:١٠

حدثت احمد بن الزبير قال : سمعت رجلاً من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه فقال عروة : « يا هذا بحق اقول لكم إنكم ارقُّ الناس قلوباً ! فقال نعم والله : لقد تركتُ بالحي ثلاثين قد خامرهم السلّ وما بهم داء إلا الحب [1] »

وهكذا ترى أن الهزال والاصفرار ، والنحول حتى الموت هي من علامات الهوى العذري بل هي من ادق خصائصه . ألم تسمع الى جواب ابن عقبة للاعرابي :

« عذري ورب الكعبة » لأنه قال : نحن من قوم اذا عشقوا ماتوا !

واسترسلوا في تعريف العشاق العذريين فادّعوا أن العاشق منهم لا يمكنه أن يكون سميناً ، محباً للأكل . أنشد أحد الاعراب [2] :

وقد رابني من زُهدم أن زهدماً
يشدُّ على خبزي ويبكي على جُملي
فلو كنتَ عذريّ العلاقة لم تكن
سميناً وانساك الهوى كثرة الاكل

واشتهر العشاق العذريون بموتهم في سبيل حبيباتهم حتى ذاع صيتهم بين القبائل وضربت بحبهم الامثال :

---

(١) مصارع ص : ٢٠ ، ديوان الصبابة ٢ : ٥٥

(٢) الكامل للمبرد . وتروى هذه الابيات على انها لجميل : راجع مصارع العشاق ص : ٢٥٨

. . . . . انت لو كنت عاشقاً متّ عشقاً [1]

مثلما مات من بني عذرة كل صحيح الهوى فعودر ملقى
قتل الحبّ قيس لبنى ومجنون بني عامر وامرض خلقا
وتحدّى كثيّراً وجميلاً ولقي منه عروةٌ كل ملقى

ورددت الكتب الادبية هذه الروايات عن بني عذرة وعن حبهم الغريب حتى قالوا فيهم الأقاويل : « فهم قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لأنهم أشدّ خلق الله عشقاً [2] »

« وهم أشد الناس غراماً وأعظمهم هياماً ... والعشق فيهم كثير والمقتول منهم جم غفير [3] » . وقالوا : « إنه ليس حي أصدق في الحب من بني عذرة ولا تضرب الامثال إلا بهم [4] » . وقيل فيهم : « انهم اشتهروا برقة قلوبهم وصدق العِلقِ مع العفاف وتجنب المآثم [5] » .

وحبهم ذو لون خاص يميزه من حب بقية الناس « فهم يستلذون مرارة العشق مثل الضرب ، جبلت المحبة من طينتهم ، وجنيت المودة من لينتهم ، وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك ... فمنهم من يموت من أوام غرامه ، ومنهم من يموت بهيام سقامه [6] » .

---

(١) مصارع ص : ٢٦٨
(٢) ديوان الصبابة ج ٢ : ٥٥
(٣) ديوان الصبابة ج ٢ : ٥٤
(٤) تزيين الاسواق ج ١ : ١٠
(٥) مصارع العشاق ص : ١٣٤
(٦) شرح المقامات الحريرية للشريشي ص : ٢٨١

وهم لا يؤمنون بغير هذا النوع العذريّ من الحب « فالحب اذا نُكح فسد » على رأي احد فتيانهم .

حدّث ابو عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من تميم قال : « خرجت في طلب ضالة لي ، فبينا انا ادور في ارض بني عذرة أنشدُها اذا ببيت منعزل عن البيوت وفي كسره شاب مغمى عليه ، وعند رأسه عجوز بها بقيّة جمال ساهية ، تنظر اليه . فسلمت عليها فردّت السلام فسألتها عن ضالتي فلم تعلم بها .

فقلتُ من هذا الفتى ؟ فقالت ابني . فهل لكَ في أجر لا مؤونة فيه ؟ فقلت والله اني أحب الأجر وان رُزئت . فقالت : ان ابني هذا هوى ابنة عم له عُلقها وهما صغيران فلما كبرتْ خطبها غيره . فأخذه شبيهُ الجنون . فخطبها الى ابيها فمنعه وزوّجها غيره . فنحل جسمه واصفرّ لونُه وذهب عقله . فلما كان مذ خمسٍ زفت الى زوجها . فهو كما ترى مغمى عليه ، لا يأكل ولا يشرب ، فلو نزلت اليه فوعظته ؟ قال فنزلت اليه فلم أدعْ موعظة إلا وعظته بها حتى قلت له : إنهنّ الغواني صاحبات يوسف ، الناقضات العهد ، وقد قال فيهنّ كثيّر :

هل وصلُ عزّة إلا وصلُ غانيةٍ
في وصلِ غانيةٍ من وصلها خَلَفُ

قال فرفع رأسه محمرّة عيناه كالمغضب وهو يقول:

لست ككثير . إن كثيراً رجل مائق وأنا وامق . ولكني

كأخي تميم حيث يقول :

الا لا يضرّ الحب من كان صابراً
ولكنّ ما اجتاب الفؤاد يضيرُ

الا قاتل الله الهوى كيف قادني
كما قيد مغلول اليدين أسيرُ

فقلت له إنه قد جاء عن نبينا (ص) أنه قال :
من اصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي . فأنشأ يقول :

الا مـا للمليحة لم تَعُدني
أبخلٌ بالمليحةِ أم صدودُ ؟

مرضتُ فعادني أهلي جميعاً
فمالكِ لم تُري فيمن يعودُ ؟

فقدتك بينهم فبكيت شوقاً
وفقدُ الألف يا أملي شديدُ

وما استبطأتُ غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديدُ

ولو كنتِ المريض لكنتُ أسعى
اليك وما يهدّدني الوعيد !

ثم شهَق شهقةً وخفت خفتةً فداخلني امرٌ ما داخلني مثله قطّ والعجوز تبكي . فلما رأت ما حلّ بي قالت : يا فتى لا تُرَع . مات والله ولدي بأجله واستراح من تباريحه وغصصه . فهل لك في

استكمال الصنيعة ؟

قلتُ قولي ما احببتِ. قالت تأتي البيوت فتنعاه اليهم ليعاونوني على رمسه . فاني وحيدة . فركبت فرسي وأتيتُ البيوت رافعاً صوتي بنعيه فلم ألبث أن خرجت لي جاريةٌ اجملُ ما رأيت من النساء ، ناشرةً شعرها ، حديثة عهد بعرس ، تقول : بفيك الحجرُ لمصمت من تنعى ؟ قلت أنعى فلاناً قالت : او قد مات ؟ قلت إي والله قد مات . قالت فهل سمعت له قولاً ؟ قلت اللهم شعراً . قالت وما هو ؟ فأنشدتها ابياته . فاستعبرت وانشأت تقول :

عدا بيَ أن أزورك يا مرادي
معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمتَ من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد
فاما إذ ثويتَ اليوم لحداً
وكل الناس دُورهم لحود
فلا طابت لي الدنيا فراقاً
ولا لهمُ ولا أثري العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً عليها وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة وماتت . فوالله ما برحت حتى دفنتها جميعاً [1] » .

وقس على هذه الحكايات والروايات عشرات مثلها وكلها تنطق

(١) شرح المقامات الحريرية للشريشي ص : ٢٨١ - ٢٨٢

بما كان لهذه القبيلة من عواطف حبيّة سامية هي غير عواطف الناس على ما يظهر . والذي يدعو الى الحيرة والدهشة حصر هذا النوع من الحب في قبيلة عربية واحدة هي قبيلة بني عـــذرة . وإن الباحث ليتساءل عن اشتهار هذه القبيلة بحبها دون غيرها لاسيما والمحيط واحد والبلاد واحدة والقوم كلهم يعيشون حياة تكاد تكون واحدة وان اختلفت في ظاهرها بعض الاختلاف كما سنبين في فصل آخر. نتساءل، في كثير من الدهشة ، كأنّ بني عذرة وعشاقهم كانوا من طينة غير طينة البشر ، و كأنهم ، بما عرف في نسائهم من صباحة وبما اشتهر عن فتيانهم من عفّة ، قد جبلوا من طينة الملائكة ولم تثر في صدورهم العاطفة البشرية التي تثور فيّ وفيك وفي كل بشري آخر ...!

ونحن نميل الى الاعتقاد بغلوّ الرواة العرب في ما زعموه عن بني عذرة وعشّاقهم حتى أخرجوهم من طبقة الناس ووضعوهم في مصاف الآلهة ونسبوا الى حبهم كل غريب عجيب ... فما هو هذا الحب العذريّ الذي نسبوه اليهم ؟

ليس هو في الحقيقة سوى حب يؤدي بصاحبه الى الهزال والاصفرار والنحول ثم الموت. وهو حب طاهر ، لا يعترف بحقّ الجسد وشهواته وتمتعه بلذات الحب . والحبيب العذريّ حبيب رقيق ، صادق في حبه حتى الموت ، تضرب به الأمثال ، لا بسمن لأنه لا يأكل ، ينهش داء السل رئتيه نهشاً وما داؤه في الحقيقة غير عشقه. اما دواؤه فهو الحبيب المعبود ، ولكن دون الوصول اليه اهوالاً واهوالاً !

هذا ما نستطيع أن نعرفه عن الحب العذري وعن العشاق العذريين .

هذا هو الحب العذري كما رواه الرواة العرب وكما رأيناه من خلال التعاريف الكثيرة المبثوثة في كتب الادب والتاريخ . فليرجع اليها الباحثون فلن يجدوا فيها ، على ما اعتقد ، اكثر مما قلناه[1].

اما الشعراء العذريون الذين ذاقوا هذا الحب واكتووا بنيرانه وغذوا منه ارواحهم وخيالهم فهم من لحم ودم قد وجدوا في التاريخ حقاً ، ولم يشك أحدٌ في وجودهم اللهم الا مجنون بني عامر كما سنرى . وقد عرفهم صدرُ الاسلام شخصياتٍ ادبية معروفة لهـا وزنها واعتبارها . وأشهرهم : جميل بثينة ، مجنون ليلى ، قيس بن ذريح ، وعروة بن حزام .

ومنهم من ينتمي الى قبيلة بني عذرة ومنهم من ينسب حبه الى الحب العذري لاشتهاره بالطهر والعفة وما شاكل هذه الصفات .

هؤلاء هم الشعراء العذريّون وهـذا هو الحب العذري . فمـا هو الحب الافلاطوني ؟ وما علاقته بالحب العذري ؟

---

(١) هذا التعريف للحب العذري يستنتج من كتب الأدب والمصادر الأولية كما هو مبين في سياق البحث وليس هو من عندنا ولا يمثل رأينا كما ذكر الدكتور عمر فروخ في كتابه : عمر ابن ابي ربيعة المخزومي ص: ٢٣ طبعة ثانيه

عالم الآلهة

«...حتى اذا اصبح فيلسوفاً بحكم محبته
وشغفه بفلسفته مرّت به لحظات خاطفة
لا تمر الا بالحكيم الذي تفتحت آفاق روحه
وارتفعت دنيا عقله فاتحد بالمثل التي تكشف
عنها الفلسفة ولاح له قبسُ الحق المطلق ..»

الحب الافلاطوني *

●

في ليلة سكرى بعبق الحب وخمرة العبقرية ، من ليالي الاغريق الغوابر ، تلك الليالي الحبالى بكل مبتكر جديـــد ، اجتمع حكماء اليونان ، موزعو الفكر البشري ، حول مائدة ترقص فوقها بنات الحانات ، يتناشدون الأناشيد الحلوة في الحب ويتذاكرون فيه باحثين ، مجادلين . فأسفر اجتماعهم عن اعذب نشيد علوي من اناشيد الحب التي عرفتها الانسانية هو : كتاب المائدة لأفلاطون الحكيم .

وفي كتاب المائدة هذا ، أرقّ الاحاديث في الحب وانواعه . فلقد تخيّل افلاطون حفلة من الحفلات اليونانية القديمة ضمت رهطاً من مختلف طبقات المجتمع اليوناني بينهم الطبيب والمحامي والاديب والشاعر . فأخذ يبدي كلّ منهم رأياً في الحب حسب هواه وحسب

(*) اعتمدنا في دراسة الحب الافلاطوني كتاب المائدة لافلاطون بالانكليزية « The Symposium » وتلخيص هذا الكتاب بالعربية لمحمد لطفي جمعة .

ما يعتقد انه من الواجب أن يكون .

فالواحد يرى ان الحب كثير الخيرات للمجتمع الانساني . فهو يوقظُ في نفوس العشاق عاطفة الخجل من السقوط في هوة العار وعاطفة التفاني في حب العلا التي تؤدي الى القيام بكبار الاعمال وعظائم الامور .

والآخر يفرّق بين الحب الارضي الذي تعرفه العامة وتهيم به كالبَهم لما فيه من الشهوات الدنيئة ، ذلك الحب الذي يعشق عبّاده الأبدان ولا يأبهون للنفوس ، ويفضلون الجهل على العلم ويستهينون بالشرف والجمال ولا يعملون إلا لاطفاء نيران شهوات الجسد ، وبين الحب السماوي الشريف الذي يوحي الاخلاص والنقاء ، ويعشق عبّاده القوة والجمال في العقل والجسم ، ذلك الحب الذي هو اشرف انواع الحب لأن غايته الفضيلة وكمال النفس لا حسن الوجه وجمال الجسم ، ولأنه يقود الافراد والجماعات للتفاهم فيما بينهم وللعمل معاً بوئام في سبيل تقدمهم وسعادتهم .

ويحاول الطبيب بما له من معرفة في تكوين اعضاء الجسم ان يوفّق بين الحبّين : الأرضي والسماوي ويجيز للانسان ان يتمتع بالحب الارضي دون الانغماس فيه كما يجوز ، بناء على حرفة الطب ، ان نتمتع بملاذّ المائدة دون ان نعرّض انفسنا للعلل .

اما الاديب فالحب في نظره هو الحنين الى الالتصاق بنصفنا المبتور عنا منذ الأزل لكي نكمل كليتنا . ألم نرَ كيف ان الآلهة

غضبت على الاجناس البشرية لتطاولها عليها فشقّتهم الى نصفين فصار كل نصف يحن الى نصفه الآخر ويتمنى لو يمتلكه لتتم له غاية الحب التي هي السعادة ؟! [1]

أما الشاعر فيرى ان الحب يخلق جميع الفنون . والحب هو واضع السلام بين البشر ، وهو يهدّىء عواصف البحر ويجرّد الانسان من البغض ويملأ قلوبنا بالعطف . يمطر الخير والوداعة على الارض وتفرّ من وجهه سائر الميول الخشنة وتهلك ... لا تمسّ رجلاه الارض ولا يمشي على جماجم الرجال الجافة الغليظة بل في قلوبهم ونفوسهم !!.

وجميع هذه الاقوال لا تعبّر عن رأي افلاطون في الحب ، ولا يمكننا اعتبارها ، رغم اهميتها ، تحديداً نهائياً للحب الافلاطوني الذي يعبر عنه سقراط تعبيراً صحيحاً جامعاً بعد ان يصغي لهذه الاقوال المختلفة فيغربلها وينقدها ويدرس الحب درساً فلسفياً منطقياً مما يحمل بقية زملائه على الاستسلام له والأخذ بآرائه واحكامه فيقول :

الحب له حبيب معين يشتهيه ويشتهي امتلاكه .

وحبيب الحب هو الجمال .

فالحب يشتهي امتلاك الجمال ولذلك فهو ليس جميلاً .

والجمال هو الخير . فالحب يحتاج الى الخير كحاجته الى الجمال .

---

(١) راجع الفصل الاول ص : ٩

وهو ليس جميلاً وليس خيراً بل هو بين الاثنين ... انه شيطان والشيطان وسط بين الرباني والانساني .

هو يفسر الاشياء الربانية والأشياء الانسانية بعضها لبعض .

وهو وسط بين الفقر والغنى، بين الجهل والمعرفة لأنه ثمرة احشاء « الحاجة » Poverty التي أغرت « الوفور » Plenty ابن متيس على مضاجعتها فأولدها الحب[1] .

فهنا ينقض سقراط اقوال زملائه في تشديده على تعيين حبيب الحب وهو دائماً الجمال ، وعلى اشتهاء هذا الحبيب الحبَ وامتلاكه ، ثم على ان الانسان لا يفتش عن نصفه إلا اذا كان ذلك النصف صالحاً جميلاً ، لأن الانسان في حبه انما يحب الخير فقط ، فالحب هو :

الرغبة الصادقة في امتلاك السعادة وامتلاك ما كانت صفته الخير.

والحب هو رغبة التوليد الروحي والجسدي بفعل حضرة الجمال ، لأن القباحة والتشويه لا يلهبان النفس ولا يوحيان اليها .

والحب هو عشق الخلود في النفس والجسد . فهناك من يعتقدون ان خلودهم يكون في إنتاج الاولاد لذلك فهم يجذبون نحو النساء. ومنهم من تحمل نفوسهم اكثر من اجسامهم فهم يبتدعون ويبتكرون كل ما هو ملائم للنفس فيخلدون بما يخلفونه من آثار فكرية سامية كالحكمة والفضيلة والعدل وما شاكل من هذه الصفات التي رفع

---

(١) Jowett - The Dialogues of Plato pp : 495 - 496

لها بنو البشر هياكل من العظمة والمجد لم يرفعوا مثلها لأي مخلوق بشري آخر .

ويلخص سقراط كلامه في الحب فيعدد درجاته المختلفة فيقول :

على من يسير في طريق الحب الطبيعية ان يسعى للاتصال بالأشكال المادية الجميلة منذ صباه فيحصر حبه في شكل واحد يوحي اليه المفاخر العقلية .

ثم انه يلاحظ في الخطوة الثانية ان الجمال في شكل واحد هو شقيق الجمال في اي شكل آخر . لذلك يتحوّل حبه العنيف من الشكل الواحد الى الأشكال العديدة . ومن الشخص الواحد الى الأشخاص الكثيرين لأنه يلمح في جميع هؤلاء الأشخاص انعكاساً للجمال نفسه .

ومن ثم ينتقل حبه من الأشكال المادية الحسية الجميلة الى النفوس الجميلة . فجمال النفس المشرقة أرقى من جمال الأبدان وأبهى. وجمال الروح المستنيرة أوقع في النفوس وأروع من الجمال الحسيّ.

ثم يقود هذا الحب النفساني المحبَ الى حب المؤسسات والشرائع فيصبح حبُ المؤسسة في نظره أرقى من حب رئيسها بروحه وشريف عواطفه ، كذلك يصبح حب العائلة ارقى من حب الزوج لزوجته اللذين يؤلفان هذه العائلة . كذلك قل في جمال كل مؤسسة او شريعة اخرى .

وتنصهر نفس المحب في بوتقة الجمال ويسير في طريقه الصحيح

الممهّد فيرتقي من حالة الى حالة حتى تنفتح عيناه على جمال العلوم الطبيعة فيقبل عليها ويتعلق بها تعلقاً ينسيه انواع الجمال التي مرّ بها . هذا هو عشق العالم لعلمه ، وهو ارقى من عشقه للمؤسسة التي ارضعته هذا العلم . يتذوّق طعم العلوم ومرارتها الحلوة بعد ان يمرّ في اتونها فتنجلي له عندئذ حقائق الفلسفة وجمالاتها فيتعشقها تعشقاً كلياً ويخلص من ربقة عبادة الجمال والحب في شكل خاص او شخص واحد ، ومن عبادة الجمال في مؤسسة واحدة او شريعة من الشرائع ، **حتى اذا اصبح فيلسوفاً بحكم محبته وشغفه بفلسفته مرت به لحظات خاطفة لا تمر الا بالحكيم الذي تفتحت آفاق روحه وارتفعت دنيا عقله فاتحد بالمثل التي تكشف عنها الفلسفة ، ولاح له قبس الحق المطلق فعشقه عشقاً ابدياً خالدا حيث وجد بينه وبينه تماساً لا تفصم عراه ...**

هذا الحق هو الجمال المطلق العجيب في طبيعته الخالدة ، الذي لا يمكن إنتاجه ولا يمكن إهلاكه ، لا يزيد ولا ينقص ولا يشبه بقية الأشياء من حيث انها جميلة من جهة ، ومشوهة من جهة اخرى.

لا يمكن تصوره للذهن كتصور اعضاء الجسم الحسيّة ، او تصوره كعلم من العلوم . ليس له وجودٌ معيّن في الأرض او في السماء او في مكان آخر . ولكنه ذو شكل دائم واحد ، ثابت ، ملائم لذاته .

هو ممتزج بالحقيقة ذاتها ، فهو يخرج الفضيلة ذاتها ويتغذى بها ويصبح عزيزاً لدى الأرباب .

هو نعمة إن صحت لكائن بشري ، كان ولا شك خالداً خلوداً ابدياً .

فسلّم الحب في نظر افلاطون تتألف من سبع درجات تختصر فيما يلي :

١ ــ حب الجمال في شكل واحد معين .

٢ ــ حب الجمال في كل الاشكال الجميلة .

٣ ــ حب الجمال الروحاني وتفضيله على الجمال الجسماني .

٤ ــ حب الجمال في المؤسسات والشرائع .

٥ ــ حب الجمال في العلوم الطبيعية.

٦ ــ حب الجمال في المُثل التي تكشف عنها الفلسفة .

٧ ــ حب الجمال المطلق ــ بمجابهة وجه الحق الجميل !

وهذه الدرجات المختلفة متممة الواحدة منها الاخرى يجب ان يمر بها الانسان ليعرف معنى الحب الافلاطوني الصحيح ، وليتذوق طعم الجمال المطلق .

ونحن لا ندّعي الاحاطة بكل ما جاء في كتاب المائدة ، كما ان ذلك ليس غرضنا في هذا الكتاب لئلا نخرج عن موضوعنا الرئيسي . ولكننا ، ونحن نثبت اقوال افلاطون في الحب ، لا بد من الاشارة الى ان هناك كثيرين من ادباء العالم يطلقون على الحب الافلاطوني تفاسير عديدة قد تخرجه عن حقيقته او قد تكون مشوّهة ، ناقصة . فبعضهم يقول : انه الحب المجرد من كل شهوة حسية . وهو اقوى

من الحب العادي وأعنف، وهو يسبق، عادة ، الحب الجنسي، بل هو الخطوة الاولى التي تقودنا الى ذلك .

ولقد رأينا ان الحب يعرف افلاطون يبدأ بالحسيات وينتهي بالمُثُل ، يولد على الارض ويطير بأجنحة خفية الى السماء . فالحب الارضي هو الدرجة الاولى في سلّم الحب ، بينما الحب السماوي هو غاية الحب.

ومن المعلوم ان كثيرين من فلاسفة العصور القديمة لم يروا في الحب غير شهوة حسية.ولكن سقراط وافلاطون وارسطو وبلوتارك رأوا فيه عواطف سامية شريفة .

وهناك فريق كبير من ادبائنا يخلط بين العذرية العربية والافلاطونية اليونانية [1] . فالحب العذري العربي معناه عند هؤلاء الادباء الحب الافلاطوني اليوناني . والحقيقه التي لا تدع مجالاً للشك هي أنه ليس من علاقة بين الحبّين كما يظهر من سياق بحثنا . واذا اجزت لنفسي المقارنة بين الحبّين بعد ان اتضح لي عدم تأثير الواحد منهما في الآخر فلكي لا يبقى مجال للشك في علاقة هذين النوعين من الحب ، ولكي يكون بين يدي القارىء تعريف لكل منهما على وجهه الصحيح الكامل .

والغريب ان هؤلاء الأدباء يذهبون الى ان الحب العذري هو

---

(١) حبيب الزيات – المرأة في الجاهلية ص: ٢٩

الحب المسيحي وهو الحب الصوفي . وهنا مجال كبير للشك والمناقشة. والذي يهمنا في دراستنا هذه أن الحب العذري يختلف عن الحب الافلاطوني في امور كثيره ،عدّد بعضها فيما يلي :

١ ــ يتضح للدارس أن الحب الافلاطوني كما جاء في كتاب المائدة ، يقوم في مدنية ناضجة ، لها علومها ولها فنونها بينما الحب العذري يقوم في بداوة . فالحب الافلاطوني هو نتيجة درس عميق مبني على أسس فلسفية حاول افلاطون درسها وتحليلها . لقد تناول موضوع الحب من وجوهه المختلفة وحلله تحليلاً علمياً وقسّمه الى اقسام مختلفة ودرس عوارضه وأسبابه ونتائجه وعدّد فضائله ورذائله. بحث في اصل خلقه وفي اقوال الأساطير اليونانية فيه ، بما لا نرى شيئاً نظيره في الحب العذري .

٢ ــ الحب الافلاطوني علمي عقلي يعبر عن نفسه بتعابير علمية عقلية . والحب العذري عاطفي خيالي ، يعبّر عن نفسه بتراكيب شعرية خيالية . يلعب في الحب الافلاطوني العقل والتفكير الرصين دوراً هاماً وتسيطر إرادة المحب الافلاطوني على حبه فتسيّره في طريق ممهد مرسوم . اما المحب العذري فهو مسيّر بعاطفته المحمومة الصادقة ، لا يدري الى اين تؤدي به ولا كيف تنتهي آلامه وأحزانه .

٣ ــ الحب الافلاطوني وسيلة للخلق والابداع والانتاج ، اي ليس غاية بذاته بينما الحب العذري هو غاية بذاته لأنه ثورة نفسيّة

مكبوتة ، إن حاولت الانعتاق من عقالها صدّتها التقاليد الاجتماعية الكثيرة والعادات القبلية العربية وخنقتها في صدر صاحبها خنقاً يؤدي به الى الاصفرار والهزال والموت .

٤ ــ في الحب الأفلاطوني يلزمك معلم يرشدك ويأخذ بيدك ، فيدلك على الخير والجمال ، ولا ينفتح عقلك للجمال المطلق إلا بعد ان تكتوي بنار العلم والفن والحكمة . وليس شيء من مثل هذا في الحب العذري .

٥ ــ للحب الأفلاطوني موضوع نهائي هو الله او الجمال المطلق المجرّد عن المخلوقات . وموضوع الحب العذري ليلى وبثينة وعفراء ولبنى وكفى !

٦ ــ في الحب الأفلاطوني تلمس شيئاً من جذب الحبيب الى الجمال المطلق . بينما التقاليد الاجتماعية الموروثة عند العرب وقفت حاجزاً منيعاً في تقرب الحبيب من حبيبه .

٧ ــ واخيراً ارى ان الحب الأفلاطوني ، مع انه حب مثالي ، أقرب الى حقيقة الانسان من الحب العذري الذي لا يصحّ وجوده إلا عند جماعة شاذة من البشر ، لها طباعها الخاصة ومزاجها الخاص وتقاليدها الاجتماعية الموروثة أباً عن جد ، وفهمها الناقص للحياة الانسانية ومتطلباتها .

فالأول حب صحيّ . والثاني هو حب مَرَضي .

أقول هذا وأنا لا اقصد الحطّ من قيمة احد الحبّين او تفضيل

الواحد منهما على الآخر وذلك لما بين الحبّين من الاختلاف في طبيعتهما وفي هدف كل منهما كما ذكرت سابقاً .

إن هذه الظاهرة الحبية التي امتازت بها قبيلة بني عذرة في صدر الاسلام ليست صدى للحب الأفلاطوني او مقدمة للحب الصوفي ، كما حاول ويحاول البعض أن يظنوا خطأ .

واذا كان هناك بعض العناصر الحبية الأفلاطونية في الحب العربي فهي في رسالة العشق لابن سينا وفي الحب الصوفي الذي ، وإن كانت قد ظهرت بذوره في الحياة الأولى للاسلام ، فانه لم يظهر ظهوراً صحيحاً فعّالاً إلا في اواخر القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث .

ولقد اتفق جميع الباحثين في التصوّف العربي على تأثره بالعناصر الأجنبية كالنصرانية والفارسية والهندية والصينية وخاصة الأفلاطونية الجديدة . ونيكلسون ، ولكلام نيكلسون في التصوّف وزنه وقيمته ، يرجّحُ تأثير الأفلاطونية في التصوّف على غيرها من العناصر .

والتصوّف مذهب من المذاهب الروحية « أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة [1] » على حدّ قول الجُنيد .

والصوفي يجعل همّه معرفة الله . واعتبر ذلك في قول رابعة

---

(١) محمود البشبيشي - الفرق الاسلامية ص: ٧

العدويّة المتصوّفة المشهورة :

« إلهي ! اذا كنتُ أعبدُك رهبةً من النار فأحرقني بنار جهنم ، وإن كنت أعبدك رغبة في الجنة فاحرمينها . واما اذا كنت أعبدك ، يا الهي ، من اجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي [١] » .

وقيل إن أبا يزيد البسطامي أحد المتصوّفين المشهورين قال :

« ذهبتُ من الله الى الله حتى نوديت من داخلي [٢] »

والحلاّج أُعدم لاتهامه بالهرطقة ولم يرجع عن اندفاعه الشديد في حب الله حتى قيل انه صرّح قبل اعدامه بقوله : « أنا الحق » ، وهو القائل : « ذات الله هي الحب » . كذلك يقول جلال الدين الرومي : « الحب ! الحب للخلاص من الشر . ويعتقد أن لا دين خيرٌ من دين الحب والشوق الى الله :

ادين بدين الحب أنّى توجهت
ركائبه فالحب ديني وايماني .

فاهتمام الصوفي بتعيين هدف حبه وهو الله ، يجيزُ لنا مقارنة هذا الحب بالحب الأفلاطوني .

---

(١) محمود البشبيشي ـ الفرق الاسلامية ص: ٧٣

(٢) عبداللطيف الطيباوي ـ التصوف الاسلامي العربي ص: ٤١

وتبرز عناصر الأفلاطونية في الحب الصوفي بروزاً واضحاً في ما يسميه المتصوّفة « طريق الوصول الى الله » . فهـذه الطريق ، وإن اختلف المتصوفون في تعيينها ، تشبه كثيراً سلّم الحب عند افلاطون اذ كلاهما يقودُ الى هدف سماوي هـو : الله او الحق المطلق . يقول المتصوفون : « إن للسفر الى الله او الحج اليـه مقامات هي :

التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكّل والرضا . وكل مقام محتـاج الى مجهود لقتل اهواء النفس واخماد شرّها فتنصرف عن الملذات وتتخلص من شوائبها وتتجرّد من كل شيء سوى الله فيشرق في القلب نور هو نور اليقين ويفنى المحب الصوفي في الصفات الربانية والأنوار الالهية فيطالع الله في مرآة نفسه [1] »

فأنت تحسّ أن هذا الجو ليس بعيداً عن افلاطون وأن هذه « المقامات » خاصة بعد ان يجعلها السّراج الطوسي في كتابه « اللمع » سبعة ، تشبه درجات الحب السبع عند أفلاطون .

كذلك نرى أن العلم والارشاد والطاعة العمياء للشيخ هي ضرورية واجبة للصوفي ليتمكن من الوصول الى الله ومجابهة الحق كما رأينا أن العلم والتدريب ضروريان للمحب الأفلاطوني في حبه .

---

(١) الفرق الاسلامية ص: ٧٥ – ٧٧

تضح مما تقدم أن علاقة الحب الصوفي بالحب الأفلاطوني قد تكون وثيقة بل هي وثيقة وإن اختلف الحبّان اختلافاً اساسياً .

اما الحب العذري العربي فلا يضيره أن يكون غير الحب الأفلاطوني وان لا يمت اليه إلاّ بصلات جدّ واهية .

المجانين العباقرة

« مجانين لانهم وقعوا صرعى الحب ومرضوا فيه مرضاً مميتاً لم يطلبوا الشفاء منه ..

مجانين لان مرضهم كان سبباً في تفجر عبقريتهم وهل كانت العبقرية غير وليدة الجنون !. »

الشعراء العذريون

●

الشعراء العذريون المعروفون في الأدب العربي هم :

جميل بن معمر المعروف بجميل بثينة .

قيس بن ذريح صاحب لبنى .

قيس بن الملوّح المشهور باسم مجنون ليلى.

عروة بن حزام صاحب عفراء .

هؤلاء الشعراء ظهروا في صـــدر الاسلام وحملوا لواء الغزل العفيف وضربوا بسهم كبير فيه حتى تغنّى بشعرهم المغنّون ووضع الرواة والقصّاص حولهم الروايات الكثيرة المختلفـــة والأقاصيص الخرافية الغريبة .

ولم يشك أحدٌ من رواة الادب او مؤرخيه في وجود هؤلاء الشعراء اللهمّ إلا في وجود المجنون الذي كثرت حوله الاقوال والروايات حتى أصبح و كأنه من ابطال الاساطير !

والغريب أن الاقدمين شكّوا في وجوده وفي اسمه واسم حبيبته ليلى وفي جنونه . ثم عاد بعضهم يؤكد وجوده ومعرفته وينفي جنونه مما يحمل الباحث على الشك بوجود هذه الشخصية الاسطورية . ولعل الاغاني، وهو أوفى المصادر التي نعتمدها في استقصاء هؤلاء الشعراء، يفيدنا شيئاً عن هذا الشاعر المجنون وأقوال الروّاة فيـــه .

حدّث ايوب بن عبّاية قال: سألت بني عامر بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت احداً يعرفه [1] .. فما قولكم في مجنون لا يعرفه حتى العقلاء من بني قومه !

ويظهر أن بني عامر ما كانوا ليقبلوا باتهامهم بهـذا الانمياث في الحب وهذه الميوعة . « فهم اغلظ اكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعافِ قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصّعلة رؤوسها ، فاما نزار فلا [2] .. » فهـذا الجواب ، جواب احد العامريين وهو يردّ عن بني قومه هذه التهمة الشنعاء ، يؤكد لنا ، إن صحّ ، أن المجنون لم يوجد .

وقالوا: إن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسب [3] . وذكر ابن الاعرابي أن جماعة مـــن بني عامر سُئلوا عن المجنون فلم يعرفوه وذكروا أن هذا الشعر كله مؤلف

---

(١) الاغاني بولاق ج ١ : ١٦٧

(٢) الاغاني ج ١ : ١٦٧

(٣) الاغاني ج ١ : ١٦٩

عليه [1] . وحديث عن عوانة أنه قال : ثلاثـــة لم يكونوا قط ولا عُرفوا : ابن ابي العقب صاحب قصيدة الملاحم، وابن القرّيّة ومجنون بني عامر [2] . وايوب هذا . له اكثر من تصريح في شخصية المجنون . قيل إنه أنشد هذين البيتين على أنهما للمجنون :

وخبرتماني أن تيماء مـــنزلٌ
لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
فمـا للنوى ترمي بليلى المراميا ؟

قال : وما المجنون ؟ فأُخبر . فقال : ما لهذا حقيقة ولا سمعت به [3] . أما الأصمعي وهو من الرواة المعروفين فكان يقول : رجلان ما عُرفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرّية وانما وضعها الرواة [4] . وقيل ان ابن الكلبي قال : حُدّثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتىً من بني أميّة كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه [5] .

---

(١) الاغاني ج ١ : ١٦٩
(٢) نفس المصدر
(٣) الاغاني ج ١ : ١٧٠
(٤) الاغاني ج ١ : ١٦٧
(٥) الاغاني ج ١ : ١٦٧

ومما يزيد في شك الباحث اختلاف الرواة في اسم المجنون فتارة هو قيس بن معاذ وتارة هو قيس بن الملوّح . وطوراً هو البحتري بن جعد . وطوراً هو الأقرع بن معاذ ، وحيناً هو مهديّ ابن الملوح .

وكما اختلفوا في اسمه اختلفوا ايضاً في جنونه . فبعد ان قوّلوا الأصمعي انكار المجنون عادوا فرووا عنه انه قال : لم يكن مجنوناً بل كانت به "لوثة" (الرجل الألوث هو الأهوج) احدثها العشق فيه [1] . ويضيف في مكان آخر : لم يكن المجنون مجنوناً وانما جننه العشق [2] ثم زعموا ان شعره كان سبب جنونه .

فهذه الروايات الكثيرة المختلفة تؤيد الزعم القائل بان المجنون ليس بالشاعر الذي وجد ، وانما هو شخصية ابتدعها خيال الرواة .

وقد اخذ بهذه النظرية كثيرون من ادباء العرب المحدثين في مقدمتهم الدكتور طه حسين [3] . وأصبح الشك في نظر الدكتور يقيناً ، وخاصة بعد ان رأى أبا الفرج الاصبهاني لا يروي اخبار المجنون إلا بتحفظ ، لأن شروط كتابه تضطره الى ذلك . قال ابو الفرج : وانا اذكر ما وقع لي من أخباره (المجنون) جملاً مستحسنة متبرئاً من العهدة فيها [4] .

---

(١) الاغاني ج ١ : ١٦٧

(٢) الاغاني ج ١ : ١٨٠

(٣) حديث الاربعاء ٢ : ٤ – ٥

(٤) الاغاني ج ١ : ١٧٠

والحقيقة ان الناقد النزيه لا يمكنه إلا ان يشك في وجود المجنون بعد ان يطلع على هذه الروايات القلقة المشوّشة ، خاصة والرواة لم يتورعوا عن الدسّ والاستنباط والتمادي في اختراع الحوادث وتلفيق الحكايات الطريفة المشحونة بها كتب الأدب العربي .

ولكن الغريب في الامر أن ادباءنا يأخذون باقوال هؤلاء الرواة ساعة يشاءون ويطيب لهم الأخذ ويرفضون اقوالهم ورواياتهم عندما يطيب لهم النقد النزيه وابداء الرأي الصائب !. فالراوية الكاذب في نظرهم اليوم قد يصبح صادقاً في الغد ، وما ذلك إلا لأن العاملين في التاريـــخ العربي لم يهتموا بتصنيف رواة الادب كما اهتموا برواة الاحاديث . فاختلط الامر وكثرت الروايات وصار يتعذّر عـــلى الدارس فهم التاريخ على حقيقته وبالتالي فهم الأدب ، ممـا حمل ولا يزال يحمل رجال الأدب العربي على الوقوف موقف الشك من كل رواية لا يقرّها النقدُ الفني الحديث ولا تثبت امام محك العقل والمنطق. والذي نزعمه أن هذه الروايات التي تملأ كتب الاصول العربية لا تثبت ، في اكثرها ، امام قواعد النقد الحديث والمنطق الصحيح ، مع انها ، في جملتها تؤلف العنصر التاريخي الجوهري الذي نحكمُ به على ادبنا العربي ورواتها هم هم الرواة الصادقون الكاذبون ! فالأصمعي الذي انكر وجود المجنون، كما رأيت، عاد فثبّته عندما سُئل عنه اذ قال: لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة كلوثة ابي حيّة الشاعر [1] ،

---

(١) الكامل للمبرد ص : ١٨

ويعودُ في مكان آخر فيشك في صحة شعره ونسبته كله اليه ولكنه يعترف بوجوده فيقول : الذي القي على المجنون من الشعر وأضيف اليه اكثر مما قاله هو [1] . ويروي نوفل بن مساحق عن ابيه عن جدّه فيقول : انا رأيتُ مجنون بني عامر وكان جميل الوجه ، ابيض اللون ، قد علاه شحوب . واستنشدته فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

تذكرتُ ليلى والسنين الخواليا
وأيام لا أعدى على الدهر عاديا [2]

وحدّث الشيباني أن رجلاً من اهل اليمن رأى المجنون ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوّح [3] كذلك قال ابن الكلبي وحدّث أن اباه (اي ابا المجنون) مات قبل اختلاطه فعقر على قبره ناقةً وقال المجنون في ذلك شعراً [4] .

فأنت ترى أن الروايات متناقضة في وجود المجنون . والذين أقروا وجوده اختلفوا في حقيقة اسمه وفي جنونه وفي سبب هذا الجنون . ثم عادوا يحوكون حول شخصيته الحكايات السخيفة التي يأبى العقل والمنطقُ تصديقها والتي تدل بصراحة فائقة على قلة مهارة واضعيها ومصطنعيها .

---

(١) الاغاني ج ١ : ١٦٩-١٧٠
(٢) الاغاني ج ١ : ١٧٩
(٣) الاغاني ج ١ : ١٦٨
(٤) الاغاني ج ١ : ١٦٨

والذي يهمنا من موضوع المجنون في دراستنا الادبية هـذه ، شخصيته الادبية المعنوية اكثر من حقيقة وجوده الكياني خاصة وانه يتعذّر على الباحث ان يجزم جزماً علمياً باتاً في هل وجد المجنون أم لم يوجد . يهمنا من المجنون فكرة سامية مجنّحة ، لونّها الرواة بريشة خيالهم المبتكر الساحر فجاءت غنية بألوانها ، رائعة في معناهـا ، وفرضت نفسها على الأدب العربي فرضاً ، ومهرت فريقاً من شعرائنا الاقدمين بخاتمها السحريّ فأخرجتهم عن حظيرة الشعراء الاسلاميين الآخرين ، فلم يسخّروا قلمهم في مدح خليفة او امـير ولم ينظموا الشعر تكلفاً او تكسباً بل راحوا يتغنّون بما يجيش في صدورهم من عواطف هائجة محمومة بشعر اعذب من الخيال وأنقى مـن الفجر . كانوا يبثون الطير شكواهم والطبيعة آلامهم في الوقت الذي تفشت فيه مخازي المديح والاستجداء عند الاكثرية المطلقة مـن شعراء عصرهم . في الوقت الذي كان الشعراء الامويون في كثرتهم المطلقة ، ينحرون الشعر العربي الصحيح بحرابهم الدامية المسمومة المتقطرة من شفراتها ألوان السموم المختلفة من مديح وهجاء وحماسة وفخر .. في الوقت الذي كان جرير والفرزدق والأخطل يسفحون عصارة عبقريتهم على اعتاب الخلفاء الامويين ، متكسبين ، متملقين ، ينهشون اعراض بعضهم بعضاً مدة اربعين سنة بأيامها ولياليها ... في هـذا الوقت ، وفي ذلك الجو الموبوء كان الشعراء العذريون مكبّين عـلى انفسهم يستوحونها ، يذيبون قلوبهم المشتعلة بنار الحب بخوراً عـلى مذبح الشعر الصافي !

إنهم مجانين !

لقد اتهمهم الناس بالجنون ! ولكنه جنون العباقرة !

انهم المجانين العباقرة !

لقد قال بعض الاعراب إن العشق فن من فنون الجنون وهذا صحيح !.

وبإذا يمكننا ان نشبه اولئك الشعراء الذين عبقت بوادي الحجاز ووهاده بانفاسهم الحرّى وأشعارهم الغزلية المطربة ؟ هـــل نشبههم بغير المجانين ؟!

مجانين ! لأنهم خرجوا عن المألوف المعروف في بني قومهم وضربوا بعادات العرب المألوفة عرض الحائط وأصاخوا باسماعهم الى نداءات قلوبهم الواهمة وعيونهم الدامعة وعواطفهم الصادقة !

مجانين ! لانهم قضوا لياليهم الطويلة والألم القتّـال يعصر قلوبهم والحرقة المضة تنهش صدورهم !

مجانين! لانهم وقعوا صرعى الحب ومرضوا فيه مرضاً مزمناً لم يطلبوا الشفاء منه !

مجانين! لان مرضهم كان سبباً في تفجر عبقريتهم . وهل كانت العبقرية إلا وليدة الجنون !

وهؤلاء الشعراء المجانين العباقرة كانوا سحرة حقاً . يثبت ذلك ما كان لهم من تأثير شديد في نفوس الناس . كانت الجواري تتغنى بشعر ابن ذريح وجميل والمجنون فيخرّق السامعون ثيابهم ويسقطون

مغشياً عليهم ويرمون بأنفسهم من أعالي المستشرفات ويسقطون مهشمين [1] .

وليس لي أن اقنعك بصحة هذه الروايات فسواء أصدقتها أم كذبتها ، فهي ستبقى صحيحة في قسمها الاكبر تمثل لنا نفسية القوم الحبية ، وترسم امامنا صورة عن حبّ ابناء البادية ، ذلك الحب العفيف العنيف !

سبق القول ان الرواة اخرجوا هؤلاء الشعراء العشاق من حظيرة البشر وأحاطوهم بهالات القداسة والاحترام ورفعوهم الى ما فوق الناس . فأخبارهم عجيبة غريبة ، لطيفة مستحبة ، خارقة صعبة التصديق .

فالمجنون كان يشهق شهقات شديدة عندما يسمع صوت ليلى تنشده الشعر فيغمى عليه . وكان لا يلبس إلا ثوباً خلقاً ولا يمشي إلا عارياً وكان يلعب بالتراب ويجمع العظام حوله ... فكانوا يحبسونه ويقيدونه فيعض لسانه وشفته فيخافون عليه ويخلون سبيله فيهيم شارداً تائهاً في البراري والصحاري مع الوحش ، لا يأكل إلا ما ينبت في الحقول من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء اذا وردت مناهلها حتى طال شعر رأسه وجسده وألفته الظباء والوحوش واصبحت لا تنفر منه [2] .

---

(١) مصارع العشاق ص : ٢٩٢ - ٢٩٣

(٢) الاغاني ٢ : ٤ - ٥

وكثيراً ما كان يمرّ بـــه اصحابه وخلانه يكلمونه ويحدّثونه ساعات طوالاً وهو جالس يخط في الأرض ويعبث بالحصى فلا يجيب ولا يتكلم [1].

وابنُ ذريح كان يعتبرُ نفسه ميتاً من الأموات بعد طلاقـــه حبيبته لبنى وكان يقول: هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على احد. وها أناذا ميت بما فعلته فمن يردّ روحي إليّ، وهل سبيل الى لبنى بعد الطلاق؟ وكان كلما قرّع نفسه وأنبها بلون مـــن التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء والصق خدّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم انشد الشعر [2].

وعندما وصله خبر زواجهـــا رجلاً من غطفان جزع لذلك وبكى بكاء شديداً وجاء الى موضع خبائها يمرّغ خده على ترابها وينشدُ الشعر [3].

اما جميل فكان اذا طال مكوثه في الشام بعيداً عن بثينـــة راسلته مع بعض نساء الحيّ، تذكر شوقها اليه ووجدها به وطلبها للحيلة في لقائه حتى اذا اجتمعا في موضع يتشاكيان ما في قلبيهما من لهيب تبعهما ابوها واخوها فيثب جميل وتثور نخوة الشباب في رأسه وينتضي سيفه ويشدّ عليهما فيهربان من وجهه، ولا يكف عنهما إلا نزولاً على امر الحبيبة المعبودة [4]. وتتزوج بثينة من رجل غير جميل

---

(١) الاغاني ٢ : ٧
(٢) الاغاني ٨ : ١١٧
(٣) الاغاني ٨ : ١٢١-١٢٢
(٤) الاغاني ٧ : ١٠٥

فلا ينقطع جميل عن حبها والتعرض لها بشعره حتى ضجّ قومها منه وشكوه الى ابيه فقال له :

« يا بنيّ حتى متى انت عمهٌ في ضلالك لا تأنف من ان تتعلق بذات بعل .... وانت عنها بمعزل ، تقوم ... اليك فتغرّك بخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلها ما تضمره الحرّة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً ، فاذا انصرفت عنها عادت الى بعلها ، على حالتها المبذولة . إن هذا لذلّ وضيم . ما اعرف اخيب سهماً ولا أضيع عمراً منك ، فأنشدك الله إلا كففت وتأملتَ امرك؟»

فيجيبه جميل :

« والله لو قدرت ان امحو ذكرها من قلبي ، او ازيل شخصها عن عيني لفعلت ، ولكن لا سبيل الى ذلك . وإنما هو بلاء بليت به لحينٍ قد اتيح لي ، وانا امتنع من طروق هذا الحي والالمام بهم ولو متّ كمداً . وهذا جهدي ومبلغ ما اقدر عليه [1] . »

وكان عندما يقول ذلك يبكي ويبكي ابوه معه ومن حضروا مجلسه جزعاً لما يرون منه !

ولم تقلّ قصة الشاعر عروة بن حِزام حبيب عفراء فجيعةً عن جميع الشعراء المذكورين .

فهو ايضاً احد المتيمين الذين قتلهم الهوى : أحبّ عفراء صغيراً

---

(١) الاغاني ٧ : ٩٧

وبادلته الحب فلم يشأ عمه ان يزوجها منه بل زوّجها من رجل أموي غني رحل بها الى الشام فلحق بها عروة واخذ يتغزل بها :

يا عُفرُ إن الحيّ قد نقضوا
عهـــد الاله وحاولوا الغدرا

وهو ككل الشعراء العذريين ، حزين دائم الحزن ، مهموم كثيرُ الهمّ ، واجم لا يتكلم ، قلبه في خفقان مستمر ، يغمى عليه دائماً ولا يستفيق إلا اذا ألقي على وجهه خمارٌ كانت قـــد اهدته اليه عفراء [1].

ولقد حاول الأطباء ومهرة السحرة والعرافين عبثاً ان يشفوه من مرضه. فلقيه ابن مكحول عرّاف اليمامة وسأل عن سبب اوجاعه أبهِ خبل أم جنون ؟ فأجابه :

فما بيَ من خبلٍ ولا بيَ جنّةٌ
ولكنّ عمي يا أُخيّ كَذوب
اقول لعرّاف اليمامـة داوني
فانك ان داويتني لَطبيب [2]

ولما عجز الأطباء عن مداواته اخذه البكاء والهلاس حتى قـــال الناس : « والله إنه لمسحور ، إن به لجنّة ، إنه لموسوس [3] » .

---

(١) الأغاني ٢٠ : ١٥٤
(٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) ديوان عروة بن حزام واخباره ـ مخطوطة

ففي هذه الحكايات ، وقد حاكت اكثرها مخيلة الرواة ، أحزان الحبيب التاعس الشقي في حبه ، وشجون النفس البدوية الواهة التي لم تعرف في حبها خداع ابناء الحضارة وتبذلهم في حبهم الناعم المترف !

ويبدو هذا الشقاء نشيداً عذباً في افواه هؤلاء الشعراء يتغنون به في اشعارهم مستطيبين الأذى في معاناة حبهم :

يقولون ليلى عذبتك بحبها
ألا حبذا ذاك الحبيبُ المعذَّبُ !

واذ يسمع المجنون بان زملاءه اصابهم شيء من الضعف في حبهم ، يصرخ من اعماق نفسه :

تشكّى المجنُون الصبابة ليتني
تحملتُ ما القاهُ من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذةُ الحبِ كلها
فلم يلقها قبلي مُحبٌّ ولا بعدي !

هذه اللذة ، لذة العذاب في الحب ، لم يعرفها شاعر كما عرفها قيس المجنون . كانت نفسه تشتاق الى البكاء وتستطيبه كاشتياق الرمال المحرقة الى قطرة الغيث الباردة ، فلا يرى حمامة تنوح على أليفها دون ان يوبخ نفسه لتغافله عن مجاراتها في البكاء :

لقد غرّدتْ في جنح ليلٍ حمامةٌ
على إلفها تبكي وإني لنائمُ

كذبتَ وبيتِ الله لو كنتَ عاشقاً
لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ

وكان اذا اشتد شوقه الى ليلى يمرّ على آثار المنازل التي كانت تسكنها فتارةً يقبّلها وتارة يلصقُ بطنه بكثبان الرمل وينقلب في حافاتها وتاره يبكي وينشد :

أمرّ على الديار ديار ليلى
أقبّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا[1]

والتوباد ! جبل نجد المحبوب ! كم له من ذكريات طيبة في قلب شاعرنا ! كم صرف الليالي مشياً على الاقدام ، قاطعاً الفيافي والأودية للوصول اليه ، حتى اذا رآه تنفّس تنفّسة خرجت معها فلذة من فلذات فؤاده وصاح منشداً :

واجهشت للتوباد حين رأيته
وكبّر للرحمن حين رآني
وأذريتُ دمع العين لما عرفته
ونادى بأعلى صوته فدعاني

ولكنه ما كان ليراه او يعرفه فلطالما كان يتيه حتى يصل الى

---

(١) خزانة الادب ٢ : ١٦٩ - ١٧٠

بلاد الشام فيسأل عن التوباد فيضحك الناس منه [1] .

ونجد ! أغنية حلوة في قلب الشاعر وبسمة طرية في فمه يكرره في اكثر ابياته الشعرية ترغماً به وتلذذاً بساكنيه :

رعى الله من نجدٍ أناساً أحبهم
فلو نقضوا عهدي حفظتُ لهم ودّي

سقى الله نجداً والمقيمَ بأرضها
سحاب غوادٍ خاليات من الرعدِ ..

أحنّ الى نجدٍ فيا ليت أنني
سُقيتُ على سلوانةٍ من هوى نجدِ

ألا حبّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ
وأرواحه ان كان نجدٌ على العهد !!

ونسيم نجد ينعش منه الفؤاد ، فهو حبيب الى قلبه لأن مسراه من عند الحبيب :

اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا
وجدتُ لمسراها ومبسمها بردا

. . . . . .

أيا جبلي نعمان بالله خليا
سبيل الصّبا يخلصْ إليّ نسيمها

---

(١) الاغاني ١ : ١٨٦

أجدْ بردها او تشف مني حرارة
على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمها
فانّ الصّبا ريحٌ اذا ما تنسّمت
على نفس محزون تجلّت همومها

وبلغ من شدّة حبه وهيامه بليلى ان سدّت عنه ابواب العالم والدنيا فلم يرَ غيرها في العالم حتى قيل فيه :

« كان اذا نظر الى الوحش يقول ليلى ! وان نظر الى الجبال يقول ليلى ! وان نظر الى الناس يقول ليلى ! حتى اذا قيل له ما اسمك ؟ وما حالك ؟ يقول ليلى [1] .. »

ورافقه خيال ليلى في حِلّه وترحاله حتى اذا قام يُصلّي يمّمَ وجهه نحوها ، او رآها تسير لحقها حيث تذهب وإن خالف بذلك قواعد الدين والايمان :

أُعِدُّ الليالي ليلة بعد ليلةٍ
وقد عشت دهراً لا أعدّ الليالیا
أراني اذا صلّيت يممت نحوها
بوجهي وان كان المُصلّى ورائيا
وما بيَ إشراك ولكن حبها
كعود الشجا أعيا الطبيبَ المداويا

---

(١) السراج الطوسي - اللمع ص : ٣٨٦

أحب من الاسماء مـــا وافق اسمها
وأشبهه او كان منه مُدانيا

وتحمّل في سبيل حبه الاهانات والعذاب اشكالاً وألواناً حتى تمنى الموت تضحية لذلك الحب :

رضيت بقتلي في هواهـــا لأنني
ارى حبهـــا حتماً وطاعتها فرضا

اذا ذُكرتْ ليلى أهيمُ بذكرها
وكانت مُنى نفسي وكنتُ لها ارضى

وإن رمتُ صبراً او سلوّاً بغيرها
رأيتُ لكلّ الناس من بعدها بغضا

وتوصل ، في سبيل الوصول اليها والوقوف ببابها ، الى ان وضع في عنقه سلسلةً ، وقادته عجوز كأنه سائل حقير وهو ينشد :

معذبتي لولاك ما كنت سائلاً
أدورُ على الأبواب في الناس عاريا

والغريب في الامر ان هذه المعذِبة ما كانت لتريد لحبيبها العذاب . فحبها له لا يقل عن حبه ، وكلفها به أشد من كلفه بهـا . ولكن ماذا تعمل بتقاليد القوم الاجتماعية ؟ وكيف يسمح قيس لنفسه ان يشهر بابنة عمه هذا التشهير المعيب ؟ بل كيف يتغنى بها في بوادي الحجاز فتطبق اخبارهما بلاد الشام ويصبحان مضغة في افواه العرب وسخرية فتيانهم وفتياتهم !

وكم ناديتُ بين خيام ليلى
وكم في حبها مثلي ينادي
انا المُضْنَى فجودي لي بوصلٍ
فقد زاد السّقامُ الى السّهادِ
فما أحلى التّهتُّكَ في هواها
حماها الله من كيد الأعادي ...

وأخيراً يبلغ به اليأس مبلغاً لا يطاق وتضيق به الدنيا فلا يعرف ماذا يفعل والى من يلتجىء . ويحاول ان يعرف ما ذنبه ولمَ اصبح على هذه الحالة المحزنة ، فلا يصل الى جواب حاسم مُرضٍ ، فيستولي عليه القلق ويغمره ضباب اليأس والحيرة فلا يجد منفذاً ليأسه وشجونه سوى الشعر :

فوالله ثم الله إني لدائبُ
أفكّرُ ما ذنبي اليها واعجَبُ ؟
ووالله ما ادري علام قَتَلْتِني
وأيّ اموري فيك يا ليلَ ارکبُ ؟
أأقطع حبل الوصل فالموتُ دونَه
أمَ اشربُ رنقاً مِنْكُمُ ليس يُشْرَبُ ؟
أمَ اهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً
أم اصنعُ ماذا ؟ أم أبوح فأغلبُ ؟

فايها يا ليلَ ما ترتضينَه
فاني لمظلوم واني لمعتِبُ ..

فهذه السلسلة الطويلة من الأسئلة يتبع واحدها الآخر تنبىء عن نفس الشاعر الحائرة المتعطشة الى الوصول لحل يهدىء ثورتها ويقنع به الحبيب المعبود ... لكن قيساً كزملائه الشعراء العشاق لن يتوصل الى ذلك الحل النهائي في حبه . وستبقى لذته الكبرى ونشيده العذب في ذلك القلق المستولي عليه المستحوذ على شعوره يسيره في طريق العبودية التي ارادها لنفسه مختاراً ..

واذا كنا قصرنا الكلام على المجنون وحبه دون الشعراء الآخرين فلأن سياق البحث اضطرنا الى ذلك . والحقيقة ان هؤلاء الشعراء العذريين كانوا جميعاً نسخة واحدة بعضهم عن البعض . فاذا كان المجنون صادقاً في حبه لابنة عمه ، فزملاؤه لم يكونوا أقل منه وفاء في حبهم وان كانت اخبارهم الحبية اقرب الى المنطق والعقل من اخبار المجنون !!

فابن ذريح ، وقصته مأساة إنسانية من الطراز الاول ، تتجاذبه في حبه عاطفتان عنيفتان لا يستطيع تفضيل الواحدة على الأخرى : عاطفة حب الأم الحنون وعاطفة الزوجة الصادقة :

« يا قيس لا تطع أباك فَتُهلِكَ وتهلكني .. »
« ما كنتُ لأطيع احداً فيك ابداً .. »

ويحلف الأب الا يكنّه سقف بيت أبداً حتى يطلّق ابنه لبنى .

فيخرج ويقف في حرّ الشمس فيجيء قيس فيقف بجانبه فيظله بردائه ويَصْلى هو بحرّ الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه ...

ويدوم تمثيل الدور سنوات حتى يقنع قيس اخيراً بطلاق امرأته فتسفر الرواية عن فاجعة تتفجر لها عبقرية الشاعر المسكين فيستطير عقله ويلحقه مثلُ الجنون ويأخذ يبكي لفراق إلفـــه وحبيبه وينشج أحرّ نشيج ...

وانِي لمِفنٍ دَمْعَ عَيْنيَّ بالبكا
حِذارَ الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غَـــداً او بعد ذاك بليلة
فراق حبيبٍ لم يَـــبِنْ وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي
بكفّيكِ الاّ أن ما حَانَ حائنُ [1]
. . . . . .
فان يحجبوها او يحل دون وصلها
مقالة واشٍ او وعيد أميرِ
فلم يمنعوا عينيَّ من دائم البـــكا
ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري

---

(١) الاغاني ٨ : ١١٣ - ١١٤

وكانت لبنى مديدة القامة ، شهلاء ، حلوة المنظر والكلام [1] . وفيّة شديدة الوفاء في حبها لقيس . فكان من الطبيعي ان يخلص لها زوجها في حبه إخلاصاً كلفه حياتـه ... اخذ يُلمّ بها سراً من قومه بعد طلاقها وزواجها من رجل آخر غـيره حتى شكاه ابوهـا الى معاوية فأهدر دمه [2] ، ولكنه لم ينقطع عن زيارتها والتغزّل بها :

تَعَلَّقَ روحي رُوحَها قَبْلَ خَلْقِنَـا
ومن بعدِ ما كُنا نِطَافاً وفي المهدِ
فزاد كما زِدْنَا فأصبح نامِيـاً
وليس اذا مُتْنَـا بِمُنْفَصِمِ العَهْـدِ
ولكنه باقٍ عـلى كُلِّ حادثٍ
وزائرُنَا في ظُلْمَةِ القَبْرِ واللَّحْـدِ

وترقّ ابياته في هذه القصيدة الى درجة يخيّل معهـا للقارىء ان الشاعر ليس من صدر الاسلام وليس هو ربيب البوادي والقفار وأن حبيبته التي يتغزل بها ليست تلك البدوية الحسناء الـتي عرفت حرّ الصحراء وقرّها وذاقت حلوها ومرّها ... بل هي تلك التي :

يكادُ حَبابُ الماء يخدِشُ جِلْدَها
اذا اغتَسلتْ بالماء من رِقّةِ الجِلْدِ

---

(١) الاغاني ج ٨ : ١١٢
(٢) الشعر والشعراء ص : ١٤٧

ولو لَبِسَتْ ثوباً من الوَرْدِ خالصاً
تَخَدَّشَ منها جِلدَها ورقُ الورد
يُثقِلُها لِبسُ الحرير لِلينها
وتشكو الى جاراتها ثِقلَ العِقْدِ
وأرحَمُ خدَّيها اذا ما لَحَظْتُها
حِذاراً لِلحَظي أنْ يُؤثِّرَ في الخَدِّ [1]

هي نفسُ الشاعر الحساس الذي لا يحسّ إلا بالحبيب !

هي عينُ الشاعر البَصير الذي لا يَرى إلا جمال الحبيب !

هو خيالُ الشاعر المُبدِعُ الذي يخلعُ على الانسان ثوب الألوهية فيخلقُ من لبنِي المرأة جنيّةً من جنيات الأساطير .

تخدّش جلدها المخملي قطرات الماء العذب !

وتجرح جسدها البضّ اوراق الورد الناعم !

ويثقل عليها عقدها اللؤلؤي الوضاء !

ويؤثر في خدّيها الموردين نظرات عشاقها الملتهمة !

ولا يقف حزن الشاعر على حبيبته عند حد من الحدود فهو اذ يعرف بارتحال قومها بها يتبعها ملياً فيمنعه ابوها من المسير معها فيقف ينظر الى القوم الظاعنين ويبكي حتى يغيبوا عن عينه فيكرّ راجعاً وينظر الى أثر خفّ بعيرها فيكبّ عليه ويقبله ويقبلُ

---

(١) عيون الاخبار ٤ : ١٤٥ والاغاني ٨ : ١٢٠

موضع مجلسها وأثر قدمها حتى يضجّ منه قومه فيلوموه على تقبيله التراب فيقول :

وما أحببتُ أرضكمُ ولكن
أقبّلُ أثرَ من وطىء الترابا
لقد لاقيتُ من كلفي بلبنى
بلاءً ما أسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى
عييتُ فما أطيقُ له جوابا ...

ويتذكرها في ليلةٍ من لياليه المحمومة فيتململ في مضجعه تململ الملسوع الكسير الفؤاد فيثب حتى يأتي موضع خبائها فيتمرّغ فيه ويبكي ويقول :

ربِّ والهمْ يا لُبينى ضجيعي
وجرتْ مذ نأيتِ عني دموعي
وتنفستُ اذ ذكرتكِ حتى
زالتِ اليومَ عن فؤداي ضلوعي
أتناساكِ كي يريعَ فؤادي
ثم يشتدُّ عند ذاكَ ولوعي
يا لُبينى فدتكِ نفسي وأهلي
هل لدهرٍ مضى لنا من رجوع ؟؟

وكيف يرجع له الدهر الغابر وقد زوّجه اهله من امرأةٍ سواها فأرسلت لبنى تسأله عن سبب زواجه من غيرها وهو يدّعي حبها فأجابها :

« أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها وانه لو رآها في نسوة ما عرفها ، وأنه ما مدّ يده اليها ولا كشف لها عن ثوب[1] » .

وسواءٌ صدق قيس في قوله هذا او لم يصدق فالذي يتضح من شعره الغزلي في لبنى كافٍ للتدليل على شدّة هيامه وصدق حبّه للمرأة الاولى التي حكّمته في قلبها فجار في حكمه عليها وعلى نفسه وكانا ضحيتين من ضحايا هذا الصراع القائم ، الى يومنا الحاضر ، بين العاطفة الحميمة والمصلحة الغرّارة ! وسيبقى هذا الصراع العنيف مستمراً في شدّته ما بقيت في هذه الانسانية قلوب تخفق وعواطف تتأجج !

وسيقع من ضحاياه الف قيس وقيس والف لبنى ولبنى لأن القلوب المكلومة المتألمة ، كالأنهر الهدّارة الصخّابة ، تحطّمُ في طريقها الى محجتها كل ما يعترضها من اوساخ الدنيا وحواجزها ، واذا لم تستطع الى ذلك سبيلاً خرّت صرعى آلامها وضحية نضالها !

وقيس كالمجنون ، كجميل ، كعروة ، كلهم وقعوا صرعى نضالهم في حبهم وذاقوا المرّ انواعاً في ذلك الحب واكتووا بناره فجاءت اشعارهم صادقةً في التعبير عن شعورهم الفياض ، صحيحة في

---

(١) الاغاني ٩ : ٢٠٧

بث شكواهم الحزينة ، رقيقة كرقة حبهم !

كلهم أراد التخلص من هذه الحياة لأن الحياة كافرة بدون الحبيب !

وكلهم تمنى الموت بعد زورة تزورها الحبيبة :

ليت لبنى تعودني ثم أقضي !

فيا ليت اني مت قبل فراقها
وهل ينفعن بعد التفرّق ليتُ !

وكلهم حزين دائمُ الحزن ، ملتاع صادق اللوعة ، يعزيه الناس فلا يريد أن يتعزّى ، ويرشده آله وذووه الى ما فيه خيره وصلاحه فلا يقنع ولا يرجع عن غيّه :

وقال الآمرون تعزّ عنها
فقلت نعم اذا حانت وفاتي ..

ولعل تلك الرواية التي تروى عن المجنون من ان آله ، لما يئسوا من إقناع ابي ليلى بتزويج ابنته من قيس ، ذهبوا به الى مكة ليتعلق باستار الكعبة علّ الله يمنّ عليه بالشفاء . فلما صار بمنى سمع صائحاً يصيح : يا ليلى ! فصرخ صرخة ظنوا ان نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه ... ولما وصلوا الى مكة امره ابوه ان يتعلق باستار الكعبة ويسأل الله ان يعافيه من حب ليلى . فتعلق قيس باستار الكعبة وقال :

« اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفاً ولا تنسني ذكرها ابداً [1] »

اقول لعل هذه الحكاية ، وامثالها كثير عن هؤلاء العذريين ، توضح لنا شيئاً من تعلق هؤلاء العشاق بحبهم وتمسكهم بهذا الحب.

والغريب ان هؤلاء العشاق كانوا يزدادون تمسكاً بحبهم وتعلقاً بحبيباتهم كلما ازداد الناس في لومهم وتأنيبهم :

يقرّ لعيني قربها ويزيدني
بها عجباً من كان عندي يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته
وتلك لعمري توبة لا اتوبها

وعندما كانوا يعزون جميلاً بقولهم : ابتعد عنها فتسلوها كان يجيب :

أشوقاً ولما تمضِ لي غير ليلة
رويد الهوى حتى تغبّ لياليا
لحى الله اقواماً يقولون اننا
وجدنا طوال النأي للحب شافيا [2]

وجميل كان شاعراً فصيحاً ، مقدماً بين الشعراء حتى ان كثيّراً كان يفضله على نفسه . وشهد له ابن سلام بقوله : كان لكثيّر في

---

(١) الأغاني ١ : ١٧٥ وتزيين الاسواق ١ : ٧٠
(٢) محاضرات الادباء ج ٢ : ٣

النسيب حظ وافر وجميل مقدّم عليه وعلى اصحاب النسيب في النسيب [1] . وكان كثيّر يبدأ انشاده دائماً بشعر جميل وقد سأله الشاعر نُصَيب مرّة : اجميل أنسب أم انت ؟ فقال : وهل وطّأ لنا النسيب إلا جميل [2] ؟

وقالوا ايضاً : كان جميل صادق الصبابة والعشق ولم يكن كثيّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل [3] .

والحقيقة ان جميلاً ما كان ليسلو حب بثينة او يفتر في ذلك الحب او يستبدل به حب امرأة اخرى رغم التفاف الفتيات العذريات حوله وفي ذلك يقول :

حلفتُ لكيما تعلميني صادقاً
وللصدقُ خير في الامور وانجحُ
لرؤيةُ يوم واحد من بثينة
ألذّ من الدنيا لديّ وأملحُ

وقال :

فلربّ عارضةٍ علينا وصلها
بالجِدّ تخلطه بقول الهازلِ
فأجبتها بالرفق [4] بعد تستّرٍ
حُبي بثينة عن وصالكِ شاغلي

مثال على صدق جميل بثينة في حبه

---

(١) الأغاني ٧ : ٧٩
(٢) الاغاني ٧ : ٨٠
(٣) الاغاني ٧ : ٧٩
(٤) وتروى : في القول

لو كان في قلبي[1] كقدرِ قلامةٍ
فضلا وصلتك او اتتك رسائلي
ولباطلٌ ممن أحبّ حديثُهُ
اشهى إليّ من البغيضِ الباذلِ
صادت فؤادي يا بُثَيْنَ حبالكم
يوم الحجون واخطأتك حبائلي
منّيتني فلويتِ ما منيتني
وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجل
وتثاقلتْ لما رأتْ كَلَفي بها
أحببْ إليّ بذاك من متثاقلِ
وأطعتِ فيّ عواذلا فهجرتني
وعصيتُ فيك وقد جَهِدْنَ عواذلي
حاولنني لأبتّ حبل وصالكم
مني ، ولستُ وإن جَهِدْنَ بفاعل
فرددتهن وقد سعين بهجركم
لما سعين له بأفوقَ ناصل
يعضضن من غيظٍ عليّ انامِلا
ووددت لو يعضضن صُمّ جنادل

---

(١) وتروى : صدري

ويقلن إنكِ يا بُثَيْنَ بخيلة
نفسي فداؤك من ضنينٍ باخِلِ [1]

فمثل هذا الشعر الغزلي الرقيق مفخرة في جبين الادب العربي القديم ، ومثل هذا الشعر يمكن بل يجب ان يدرسه طلاب الادب ويفاخروا به ادباء الفرنجة الغزلين حتى الشعراء المحدثين منهم . وان مثل هذه القصيدة لكثير عند جميل أود ان اثبت بعضها هنا لتكون شاهداً ناطقاً بما لهذا الشاعر العربي من إرهاف في الحس وصدق عميق في الحب ، ذلك الحب الذي كاد يقتله لشدّته :

وكأنّ طارِقَها على عاتِلِ الكرى
والنجمُ وهناً ، قد دنا لتغوُّرِ
يستافُ ريحُ مُدامةٍ معجونةٍ
بذكيِّ مِسْكٍ ، او سَحيقِ العَنْبَرِ
اني لأحفظُ غيبكم ويسرّني
اذ تُذكرينَ بِصالح ان تُذكري
ويكون يومٌ لا ارى لك مُرْسِلا
او نلتقي فيه عليَّ كأشهر
يا ليتني القى المنيّة بغتةً
إن كان يومُ لقائكم لم يُقدَرِ

---

(١) ديوان جميل – بشير يموت ص: ٥٠ – ٥١

او أستطيع تجلداً عن ذكركم
فيفيقَ بعض صبابتي وتفكري
لو قد يُجنُّ كما أجنّ من الهوى
لعذرتِ او لظلمت إن لم تعذر

• لا تحسبي أني هجرتك طائعاً
حدثٌ ، لعمركِ ، رائع أن تُهجري
فلتبكينّي الباكياتُ وإن أبُحْ
يوماً بسرّك معلناً لم أعذرِ

• بهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فان امت
يتبعْ صداي صداك بين الأقبُرِ ...
إني اليكِ بما وعدتِ لناظرٌ
نظرَ الفقيرِ الى الغنيّ المُكثِرِ

• تُقضَى الديونُ وليس يُنجزُ موعداً
هذا الغريمُ لنا ، وليس بمُعسِرِ

• ما انتِ والوعدُ الذي تعدينني
إلا كبرقِ سحابةٍ لم تُمطِرِ

ألا وإني لا ارى في هذه الابيات الجميلة ، معنىً مبتكراً لم يطرقه شاعرٌ غير جميل . كذلك هي خالية من أية فكرة فلسفية عميقة في معناها ، غريبة في مغزاها ، تتطلب من القارىء إعمال الفكر

وتقليب النظر لفهمها وحلّ رموزها ، وعلى ذلك يقوم جمالها . إن سلاسة الفاظها وانسجامها انسجاماً طبيعياً من ناحية، وسذاجة معانيها وصدقها وإخلاصها من ناحية ثانية يجعلهـــا حبيبةً الى قلب الاديب الدقيق الشعور المرهف الاحساس !

ومن المستحسن هنا ان نشير الى ان هؤلاء الشعراء العذريين ، وكلهم ربيب البوادي والصحـــاري ، لم يتنعّموا بما تنعّم بـــه زملاؤهم في حواضر الاسلام المختلفـــة ، في الشام والعراق ومصر وغيرها من بلاد المسلمين ، من الخيرات العميمة التي فاضت عليهم إثر الفتوحات العظيمة . وحرمانهم هذا ، أبعدهم عن الاحزاب السياسية فلم تتحرك عاطفتهم في نظم الشعر السياسي بـــل انقطعوا الى نوع واحد من الغزل العفيف ، الصادق ، الساذج الذي نمـــا وترعرع في بوادى الحجاز ووهاده وتفشى بينهم تفشياً سريعاً حتى اصبح فنـــاً رائجاً من فنون الشعر ..

وليس غريبـــاً ان يجيء هذا الشعر الغزلي متشابهاً في اكثره وان اختلف عددُ قائليه . فجميعهم كما رأينـا ابناء وسطٍ واحد ، بعيدٍ عن ضوضاء المدنية الاسلامية الجديدة وحياتها الصخابة، بعيدٍ عن حياة البذخ والترف والمجون ، تلك الحياة التي عرفها ابن ابي ربيعة وغرف منها غرفاً كبيراً ، ساعده على ذلك شباب ريان وجمال فتان ومال وفير وصيت عريض! لم يعرف العذريُّون هذا اللون من ألوان الحياة بل انكمشوا على نفوسهم وانزووا في باديتهم ووضعوا هدفهم

الاعلى في حياتهم خيال امرأة من النساء ، فراحوا يتغنون بها في شعرهم ليلهم ونهارهم .. جعلوا الحب غاية من غاياتهم في الحيـــاة وقدّسوه وعبدوه ثم جسّموه في شخص ليلى ولبنى وبثينة وعزّة وعفراء فرفعوا لهؤلاء النساء تماثيل في قلوبهم ، يحرقون امامها شموع شبابهم الذابل ، ويذيبون على اعتابها عصارة قلوبهم المتألمة المنسحقة ! لم يأتوا بالجديد المبتكر في شعرهم الغزلي ، ولم يتفننوا او يبتـــدعوا في ذلك الحب الجديد العنيف ، فلم يضيفوا الى اوتار الشعر العربي وتراً جديداً بما لهذه الكلمة من معنى واسع صحيح !

ولكنهم كانوا سباقين الى حصر شعرهم في فن واحد من فنون الشعر . كان الغزل قبلهم تصنعاً وتكلفاً فأصبح في زمنهم خلجة قوية من خلجات النفس الصادقة ، وعاطفة جريحة تئن وتتألم ! لم يقم في العصر الجاهلي شعراء يحملون لواء الغزل وينادون باسمه في كل مجتمع وناد كما فعل اصحابنا العذريون . فامرؤ القيس ، وغزله مشهور ، لم يكن ليتعدّى بشعره الغزلي وصف اللحم والدم والشهوة الحسية التي تأكل جسمه والتي يبدو اثرها في كل بيت من ابياته الفاحشة ... كذلك قل في بقيـــة الشعراء الجاهليين كالأعشى والنابغة الذبيـاني وغيرهما من الذين قصدوا ان يتغزلوا فجاء غزلهم حسياً ماجناً .

والحقيقة ان المرأة في الشعر الجاهلي لا تبدو افضل مـن الناقة . فطرفة خص ناقته بعشرات الأبيات ووصفها وصفاً دقيقـــاً متغزّلاً بكل عضو من اعضائها دون ان ينسى بريق عينيها وصفاءهما ، كذلك

قل في فرس امرىء القيس ....

ونحن لا ننكر على هؤلاء الشعراء الجاهليين تغزلهم بما كانوا يحسّونه ، وانما نقرر حقيقة يعرفها كل من يدرس الأدب الجاهلي وهي ان الشعراء الجاهليين لم ينظروا الى نفس المرأة ولم يدرسوا عواطفها او يحللوا خلجات قلبها الحبيّة ، بل اكتفوا بوصف اعضائها الجسدية وصفاً حسياً لم يختلف عن وصفهم لنياقهم وأفراسهم اختلافاً كبيراً

ونحن لا ندعي ان الشعراء الاسلاميين درسوا المرأة درساً تحليلياً فكشفوا عن نزعات نفسها المختلفة وحللوا عواطفها تحليلاً نقدياً نفسياً دون ان يهتموا بجمالات جسدها او يتغزلوا بهذه الجمالات الحسيّة غزلاً غير بريء (حتى العذريون منهم) . لا ندّعي شيئاً من هذا ، فالأدب العربي، في عصوره المختلفة، لم يستطع ان يتجرد عن المادية تجرداً محسوساً كما يقرر اكثر مؤرخي الأداب العربية[1] ولكن الاسلاميين عرفوا ان ينظروا الى المرأة نظرة فيها من الانسانية والنبل وعواطف الحب الصادق ما لم يحلم به الجاهليون. لقد استبدلوا بهذه الخشونة الجاهلية رقة اسلامية اكتسبوها عن طريق الدين الجديد والمحيط الجديد . لقد اصبح الشاعر الاسلامي ، باحساسه المرهف ، وشعوره الدقيق انساناً كاملاً يشعر ان المرأة هي مخلوق لا يستغني الرجل عنه ولا تطيب نفسه بدونه، فجاء شعره عابقاً بهذا الاحساس

---

(١) راجع حديث الاربعاء للدكتور طه حسين

وذلك الشعور عبوقاً هو من ابرز صفات هذا الشعر وأصح ميزاته .

عذرية الشعراء

والذي يعجب له حقاً ان يخرج الرواة برواياتهم الكثيرة الملفقة هؤلاء الشعراء المحبين من بين العشاق الانسانيين الحقيقيين فيصورهم لنا كأنهم عاشوا في غير هـذا الكوكب ، لم يحبُّوا حباً انسانياً ، كما أحب ولا يزال يحب كل ذي نفس حساسة . والأعجب من هذا ان عصرهم الذي عاشوا فيه هو عصر عرف فيه الشعراء عامة ، الحب بألوانه الترابية وتمرغوا في حمأته ما شاء لهم فسقهم وفجورهم ووصفوا كل ذلك في شعرهم فجاء صورة صادقة عن ذلك العصر ...

وانت لا تكاد تطالع كتاباً من امهات الكتب الأدبية العربية القديمة دون ان تصطدم بأثر هذه الحياة الصاخبة، وهذه المادية الصلبة التي تطغى على تفكير الشعراء والأدباء فتلفهم بعباءتها السوداء لفاً محكماً ، يضيّق عليهم انفاسهم فلا يستطيعون التحليق الى فوق المادة .

ولأضرب لك بعض الأمثلة عن المُثل الجماليـــة التي تعلق بذهن المطالع عن بعض الأدباء العرب الأقدمين . يقول الجاحظ في احدى رسائله : « إن الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن احسن . والغناء الشهيّ من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهى [1] »

---

(١) مجموعة رسائل ص : ١٦٤

ويتضح من قراءة رسائل الجاحظ في النساء أنه انما يهتم بصفات النساء الخارجية دون الداخلية. وهكذا قل في اكثر الكتب العربية القديمة وأهمها : العقد ، وعيون الأخبار ، ونهاية الأرب ، ومواسم الأدب، ومحاضرات الأدباء ، والموشح، والأغاني الخ وكثير غيرها ، وكلها تطفح بالأحاديث عن سوء نيّة النساء . فالرواة يلصقون بهنّ أشنع التهم كالخيانة والغدر والكيد واللؤم .

« النساء شرّ كلهن وشرّ ما فيهن قلة الاستغناء عنهن »

« لا تثق بامرأة ولا تغترّ بمال وان كثر ! »

« النساء حبائل الشيطان [1] »

وقال ابن عباس :

« اول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء [2] »

ومثل هذه الروايات عن النساء كثير [3] لا يهمنا الاستشهاد بها للتدليل على نظرة القوم الاجتماعية في المرأة، بقدر ما يهمنا الاشارة الى هذه « المادية » التي تظهر في الأدب العربي ظهوراً بارزاً في اوصاف الشعراء وروايات الأدباء . فأحسن امرأة هي تلك التي:

« لطُفَتْ كفّاها ، وخدلت (امتلأت) ساقاهـا ، والتفّت فخذاها ، وعرضت وركاها ، ونهد ثدياها ، وسَالَ خدّاها [4] »

---

(١) المستطرف ص : ٢٨٧ وفيه من امثال هذه الروايات شيء كثير

(٢) روضة المحبين ص : ٢١٤ (٣) محاضرات الادباء ٢ : ١٣٩

(٤) اخبار النساء ص : ٧٠ ، محاضرات الأدباء ٢ : ٢٤

واذا راح الشاعر يصف امرأة قال :

« وجهها كضوء البدر ، وخدها كجني الورد ، ولسانها ساحر ، وطرفها فاتر ، ضمها يهيج اللوعة ، ونطفها ينقع الغلة ، تنهض بقدّ كالقضيب ، وتدبر بكفل كالكثيب ، ثديها يرنو الى ذقنها ، شعرها لاحق بذيلها في مثل سواد ليلها ، ثغرها كاللؤلؤ النظيم يجلو دجا الليل البهيم ، ريحها كالراح المعتق ، ختامه كالمسك المفتق ... صحيحة الحَدَقة ، مريضة الجفون ، كأن ساعدها طلعة ومعصمها جمار وأصابعها مداري فضّة . وكأن نحرها من ساج وبشرتها زجاج وسرّتها من عاج [1] ...

فجميع هذه الصفات مادية حسيّة لا تتعدى جسد المرأة وجمالها الخارجي . ومثلها الكثير يملأ كتب الأصول الأدبية . ولست لأزعم أن الأدب العربي القديم مجرّد عن الروحانيات تجرداً تاماً ، ولكن الباحث لا يستطيع تجاهل هذا الطغيان المادي الذي يسيطر على الأدب فيكبله بقيود ثقيلة جامدة ويقف به عند حد محدود من سمو التفكير وتحليق الخيال .. اقول هذا وانا عالم ان الشعراء العذريين خالفوا زملاءهم الحضريين من حيث سموّ تفكيرهم ونقاوة اشعارهم وتجردهم ، بعض التجرّد ، عن الحب المادي الحسيّ . اقول « بعض » التجرد وأعني ما اقول . فليس لنا ان ندّعي ان هؤلاء العذريين كانوا من طينة الملائكة ، وليس لنا ان نضعهم فوق البشر

---

(١) محاضرات الادباء ٢ : ١٣٩-١٤٠

وهم انما كانوا يعيشون بقلوب تتفجر إحساساً ويتدفق منها شعور صادق بالحب والحياة !

هؤلاء الشعراء احبوا كما يحب كل عاشق صادق العشق ، وطلبوا في حبهم كل ما يطلبه الحب الانساني ، وثارت في قلوبهم الواهة شهوات دموية أفضّت مضاجعهم في لياليهم الحمراء المحمومة فتزوّج منهم من استطاع الى ذلك سبيلاً ، ومن لم يستطع مات شهيد حبه وهو يطلب لقاء الحبيبة !

وشعرُ هؤلاء العذريين ، على نقاوته ، وعذوبته وطهارة معانيه احياناً وبعده عن رائحة اللحم والدم ، لا يستطيع ان يتجرد تجرداً تاماً عن التحسر الى وصال الحبيبة وعن الأوصاف الحسيّة لجمالاتها الجسدية :

عروة

فيا ليت كلّ اثنين بينهما هوى
من الناس قبل الحشر يلتقيان
فيقضي محب من حبيب لُبانة
ويرعاهما ربي فلا يريبان !

هذا ما يتمناه عروة وقد عرف لذة الوصال ثم يكمّل في وصف عفراء .

كأنّ وشاحيها اذا ما ارتدتهما
وقامت ، عنانا مهرة ، سلسان
يغص بأبدان لها ملتقاهما
ومتناهما رخوانِ يضطربانِ

فويلي عـــلى عفراء ويـــل كأنه
عـــلى النحر والأحشاء حشد سنان
ألا حبّذا مـن حب عفراء ملتقى
نعـم وألا لا حيث يلتقيـــان

*

تمنيت مـــن وجدي بعفراء انـني
إزارٌ لهـا تحت القميص يمان !

وقيل إنـــه اراد بقوله ملتقى نعم والا لا شفتيها لأن الشفتين يلتقيان [1] . فالذي يجب ان نفهمه من عذريّة هؤلاء الشعراء في حبهم، هو تفانيهم في هذا الحب وشدة تدلههم به وبذل كل غال ورخيص لديهم في سبيله ، اكثر من تجرّدهم عن حب الجسد وملاذه وابتعادهم عن الحبيب وهجرهم اياه هجراً جسدياً مقصوداً .

ولرب معترض يقول : وماذا تفعل بالروايات الكثيرة التي تؤكد عذرية هؤلاء الشعراء وهي تملأ كتب الأدب ؟ الا تبرهن على انهم كانوا يحبون من اجل الحب فقط ؟ الا تؤكد ان هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون القناعة المجردة من كل حس مادي او حب جسدي ؟ فهل نرمي بها عرض الحائط ؟

وماذا نفعل بمثل هذه الأبيات الجميلة التي تطفح منها رائحة الحب الزكي المضمخ بأنفاس الطهر والعفاف ؟!

---

(١) ديوان عروة وحزام ـ مخطوطة

وإني لأرضى من بثينةَ بالذي
لو ابصرهُ الواشي لقرَّت بلابلُهْ
بلا وبألاَّ استطيع ، وبالمنى
وبالأملِ المرجوِّ قد خاب آملُهْ
وبالنظرةِ العَجلى إذِ الحَولُ تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائلُهْ !!

وهذا ليس كل شيء بل هناك ما يدعم هذه الأبيات ويؤكد ان جميلاً كان طاهر الذيل ، عفّ الضمير واللسان ، لم يتم بريبة قط . ولا ارى بأساً في سرد بعض هذه الروايات ومناقشتها إتماماً للبحث واليك بعضها :

حضرت جميلاً الوفاة بعذان اعتل فجاءه العواد مستفسرين فاذا به وهو يجودُ بأنفاسه الأخيرة ، يعترف لأحد الحاضرين (ابن سهل) بقوله : يا ابن سهلٍ ! ما تقول في رجلٍ لم يشرب الخمر قط ولم يزنِ ولم يقتل النفس ولم يسرق؟ يشهدُ ان لا إله إلا الله؟

قال ابن سهل : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة . فمن هذا الرجل ؟ قال : انا . قال ابن سهلٍ : والله ما احسبُك سلمتَ وانتِ تُشبّبُ منذ عشرين سنة ببثينة . قال : لا نالتني شفاعة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، واني لفي اول يوم من ايام الآخرة وآخر يوم من ايام الدنيا ، إن كنت وضعت يدي عليها لِريبةٍ[1] واكثر ما

---

(١) وفيات الاعيان ص : ١١٦ - ١١٧

كان مني ان اسند يدها الى فؤادي استريح ساعة . وأكّدت بثينة هذه العذرية في حديثها لجميلة المغنية [1] فقالت :

« والله ما أرادني جميل ، رحمة الله عليه، بريبة قط، ولا حدّثت انا نفسي بذلك منه [2] . وتشهد جميلة ببثينة شهادة تدعم هـذا القول فتقول : « كانت بثينة صدوقة اللسان ، جميلة الوجه ، حسنة البيان ، عفيفة [3] » . وقالوا إن بثينة دخلت مرة على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا بثينة : ما ارى فيك شيئاً مما كان يقوله جميل . فقالت يا امير المؤمنين إنه كان يرنو اليّ بعينين ليستا في رأسك . قال فكيف رأيتيه [4] في عشقه ؟ قالت كان كما قال الشاعر :

لا والذي تسجدُ الجباه له
مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا همتُ بها
ما كان الا الحديثُ والنظرُ

ورغم أن جميلاً يقضي ليله بكامله وبثينتُه الحلوة فانه يخرج عند الصباح « عن مثل رائحة العنبر » :

وكان التفرقُ عند الصباح
عن مثل رائحة العنبر

---

(١) تزيين الاسواق ص : ٤٦٠
(٢) الاغاني ٧ : ١٣١
(٣) « نفس المصدر السابق والصفحة »
(٤) كذا في الاصل

خليلان لم يقربا ريبة
ولم يستحقا الى مُنكرِ

واذا اردنا ان نعتبر هذه الابيات كحقيقة لا تحتمل الجدل فان هناك الكثير غيرها من الشعر الذي لا يترك مجالاً للقارىء في ان يشك في حب هؤلاء الشعراء حباً انسانياً طبيعياً . بل أذهبُ الى ابعد من هذا فأزعم ان هذه الحكايات وهذه الاشعار التي يروجها الرواة مؤكدين بها عذرية الشعراء تأتي بنتيجة معكوسة لما يريدون. ألا نستطيع ان نزعم ان هذه القناعة في الحب هي قناعة مصطنعة فرضتها على الشعراء بيئتهم الصحراوية الفقيرة وتقاليدهم الاجتماعية الصارمة ؟ لقد علق ابو بكر الاصفهاني صاحب كتاب « الزهرة » المشهور بين التآليف الحبية على أبيات جميل المذكورة بقوله [1] : « هذه لعمري قناعة شديدة تدل على ان وراءها ذلةً وكِبْدَةً ، لأن من يتهيأ له من يهواه لا يقنع بأن لا يراه ، وبأن يعده وعداً الا يطالبه بوفائه . ولعمري ان هذه الحال تَقَرُّ عين المعادي وتسخن عين الموالي » ولكنه عاد فوجد له عذراً او قل خفف عنه عبء التهمة .

« الا انه وان كان قد بالغ في القناعة فانه قد التمس التعلل بالوعد وبتأمين اللقاء على البعد . ومن قنع بترك اللقاء وأقام على حال

---

(١) الديوان ص : ٣٣
(٢) راجع ابيات جميل : واني لارضى ... الخ

الوفاء كان أتم حالا [1] »

ثم كيف نفسر عشرات الابيات الشعرية لهؤلاء الشعراء العذريين وكلها تنضح باللذة الجسدية وتثور فيها نفس الشاعر وجسده ؟

وهذه الاوصاف الحسيّة الكثيرة التي تصف جسد المرأة عضواً عضواً وتصوّرها امام عينيك لوحة من لوحات الفن الخالدة ...

وهذه التمنيات والتحسرات « للثم الثغور » « وعناق البيض ربات العيون الفتاكة » « وهصر الثديين » « ورشف الريق » « واهتزاز القوام من تحت الثياب كما يهتز غصن البان » !...

وهذه المواعيد الكثيرة التي يضربها العشاق لبعضهم البعض « على خلوة » « عند الاكمة » او في بيت الحبيبة حيث تحتبس حبيبها ليالي طويلة فتُسكِرُه ويختلي بها ثم يضطجع الى جنبها اضطجاعاً يصوره الرواة بريئاً وكان من الاسهل والاصح ان يصوروا كل شيء على حاله فيريحونَ ويستريحون !

واليك بعضاً من هذا الشعر لهؤلاء العذريين وهم يظهرون فيه في مظهر الحبيب الانساني الطبيعي . كقول جميل في لاميته الجميلة :

ألم تعلمي يا عَذْبَةَ الرّيقِ أنني
أُظلّ اذا لم القَ وجهك صَادِيا ؟
لقد خفت ان القى المنية بغتةً
وفي النفسِ حاجاتٌ اليك كما هيا ..

---

(٢) الزهرة ص : ٩٨

وفي مكان آخر :

خليليّ عوجا اليوم حتى تُسلِّما
على عذبة الانياب طَيِّبَةِ النَّشْرِ

***

فسوف يُرى منها صُدودٌ ولم تكن
بنفسي من اهل الخيانةِ والغدرِ
اعوذ بك اللهمّ ان تشحط النوى
بِبُثْنَةَ في ادنى حياتي ولا حشري
وجاورْ اذا ما مت بيني وبينها
فيا حبذا موتي اذا جَاوَرَتْ قبري

***

يقولون مسحورٌ يُجَنُّ بذكرها
واقسم ما بي من جنونٍ ولا سحر
لقد شُغِفَتْ نفسي بثينٍ بذكركم
كما شُغِفَ المخمورُ يا بُثْ بالخمر
ذكرت مقامي ليلة البان قابضاً
على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم املك اليها صبابة
اهيم وفاض الدمع مني على النحر
فيا ليت شعري هل أَبِيتَنَّ ليلة
كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر ؟

تجود علينا بالحديث وتارة
تجود علينا بالرضاب من الثغر

فيا ليت ربي قد قضى ذاك مرة
فيعلم ربي عند ذلك ما شكري

ولو سألت مني حياتي بذلتها
وجدت بها ان كان ذلك من امري

مضى لي زمانٌ لو أُخيّر بينه
وبين حياتي خالداً آخرَ الدهر

لقلتُ ذروني ساعةً وبثينة
على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري

مفلّجةُ الانياب لو ان ريقها
يداوى به الموتى لقاموا من القبر

اذا ما نظمتُ الشعرَ في غير ذكرها
أبى وأبيها ان يطاوعني شعري

فلا انعمت بعدي ولا عشتُ بعدها
ودامت لنا الدنيا الى ملتقى الحشر

ولست احب ان اعلق على هذه القصيدة الحلوة الصريحة فهي تبرهن ان جميلاً رغم عذريته وعفة نفسه ، كان رجلاً يفهم الحب كما يجب ان يفهم! ان جميلاً وزملاءه العشاق لم ينقطعوا ساعة واحدة عن التفكير في حبيباتهم بل لم يتورعوا عن زيارتهن وضرب المواعيد لهن

ليلاً في اماكن مختلفة . ولا ادري ما نقصد بالحب العذري عند جميل وهو لم ينقطع عن زيارة بثينة حتى بعد زواجها [١] .

وكيف يكون حبه عذرياً وقد احتبسته مرة عندها مدة ثلاث ليال [٢] ؟ بل ما معنى العذرية وجميل يسكر ويختلي بحبيبته بعد زواجها؟ اين الحب البريء بعد السكر ؟ بل اين الحب البريء بعد الاضطجاع جنباً الى جنب ؟ لو كان حبها عذرياً لما استطاعت بثينة ان تعلق رجلاً آخر غير جميل هو حجنة الهلالي [٣] !

لو كان حبها عذرياً لما كان يغار عليها جميل هذه الغيرة الشديدة التي حملته ان يطلب من غريمه توبة بن حمير الصراع والنضال والسباق، وذلك لأن بثينة كانت تنظر اليه [٤] حتى روي ان جميلاً لشدة غيرته وسوء نيته في بثينة كان يقول : « ما رأيت مصعباً [٥] يختال بالبلاط الا عرف على بثينة وهي بالحباب وبينهما مسيرة ثلاث [٦] .

واذا ضربنا صفحاً عن كل ما قلناه وأردنا تصديق هذه الروايات المزوّقة الجميلة عن عذرية هؤلاء الشعراء فما يكون موقفنا من شعرهم الطافح بالاوصاف الحسية ؟ اليست هذه الاوصاف صدى لما يجول في نفوس اصحابها إن كانوا صادقين ؟

كأن فتيت المسك خالط نشرهـا
تقـل بـه ارداقهـا والمرافق

---

(١) الاغاني ٧ : ٨٦
(٢) الاغاني ٧ : ٨٩
(٣) الاغاني ٧ : ٩١
(٤) الاغاني ١٠ : ٨٠
(٥) هو مصعب بن الزبير
(٦) الزهرة ص : ٨٢

تقوم اذا قامت بـــه عن فراشها
ويغدو به من حضنها من تعانق [1]

وهل يكون مسّ الجلد ، ورشف الريق ، ولثم الثغر من الامور العذرية في الحب ؟

حلفتُ يميناً يا بثينةُ صادِقاً
فان كُنتُ فيهـا كاذباً فعميتُ
اذا كان جِلدٌ غيرُ جِلدكِ مَسَّني
وباشرني دون الشعار شَريتُ
ولو ان راقي الموت يرقى جنازتي
بِمَنْطِقِها في الناطِقينَ حَييتُ [2]

وقال :

تذكّرَ منها القلبُ ما كان ناسياً
ملاحةَ قولٍ يوم قالت ومعهـدا
فان كنت تَهوى او تريـدُ لِقاءَنا
على خَلْوَةٍ فاضرب لنـا منك موعدا
فقلت ولم املك سوابق عَـبْرَةٍ
أأحسن من هذا ... العشيَّةَ موعِدا ؟
فقالت اخـاف الكاشِحين وأتّقي
عُيوناً مـن الواشين حولي سهدا [3]

---

(١) الاغاني ٧ : ٩٤ (٢) ذيل الامالي ص : ٦٨
(٣) الزهرة ص : ٦٣

وهذه الخلوة التي تمنتها بثينة حصلت على مثلها كثيراً من المرات، هناك عند « الأكمة » وما ادراك ما الأكمة؟ حيث كان يجتمع جميل ببثينة يحدثها وينشدها الاشعار العذاب وعيون الحساد في عمىً « حتى اذا كان السحر » كان يضع رأسه في حجرها فينام ساعات طوالاً « حتى يُبرِق الفجر[1] » ...

يريدونك أن تصدق كل هذا واكثر من هذا والا تسيء الظن بهذه الخلوات الشعرية الرومانطيقية والا فأنت لست بعذري .

واخيراً هنا أبيات تُروى على انها لجميل ، ترينا ، ان صحّت نسبتها ، أن حبّ هذا الشاعر لم يعرف العذرية قطّ :

ما زلتُ أبغي الحيَّ أتبعُ فلَّهم
حتى دُفِعتُ الى ربيبة هودجِ
فدنوتُ مختفياً ألِمُّ ببَيْتِها
حتى وَلَجْتُ الى خفيّ المولج
فتناولت رأسي لتَعْرِفَ مسّهُ
بمخضّبِ الاطرافِ غير مشنج
قالت : وعيشِ أخي وحرمة والدي
لأُنبِهَنَّ الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتَبَسَّمَتْ
فعلمت ان يمينها لم تحرج

---

(١) اخبار النساء ص : ١٠٠

فَلَثَمْتُ فاهاً آخذاً بقرونها
شُرْبَ النزيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ [1]

ولا أدري لِمَ هذا الاهتمام الشديد في جعل هؤلاء الشعراء غير ما هم عليه ومحاولة تصويرهم على غير حقيقتهم حتى ظهروا كأنهم من سكان الصوامع والكهوف او من دراويش المتصوفة !! والحقيقة أنهم بشر بل من صميم البشر وانما تميزوا عن عامة الناس بشعورهم الدقيق الفياض الذي ظهر لك في ما ذكرناه وسنذكره من شعرهم .

اما زيارات المجنون لليلى حتى بعد زواجها فكانت كثيرة متعددة ، لم يتورع الرواة عن ذكرها باسناد ، قيل :

إن زوج ليلى وأباها خرجا في امر طرق الحي الى مكة ، فأرسلت ليلى بأمةٍ لها ، الى المجنون ، فدعته فأقام عندها ليلة فأخرجته في السحر وقالت له سر إليَّ في كل ليلة ما دام القوم سفراً » . فكان يختلف اليها حتى قدموا . وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودعته .

تمتع بليلى إنما أنت هامةٌ
من الهام يدنو كل يومٍ حمامها
تمتع الى أن يرجع الركبُ إنهم
متى يرجعوا يُحرم عليك كلامها [2]

---

(١) وفيات الاعيان ١ : ١٦١ والديوان ص : ١٦ راجع تعليقاً عليها في الاغاني ١ : ١٩١ دار الكتب المصرية
(٢) الاغاني ج ٢ : ٧

والغريب أن ليلى لا تجد جواباً لمن يأتي متشفعاً لقيس عندها سوى قولها: « صبري وصبره او يحكم الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين! [1] » وهكذا أجابت عفراء عندما قيل، وقد بلغها ما نزل بعروة فكادت تبوح بسرها ، أما عندك له حيلة تخفف ما به ؟ فقالت : والله لأنا أسرّ بذلك وأشوقُ اليه منه ولكن لا سبيل الى احتمال العار ودخول النار [2] .

وقيل لبثينة : هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة تنفسين بها وجده ؟

فقالت ما عندي اكثر من النظر الى ان ألقاه في الدار الأخرى او زيارته وهو ميت تحت الثرى . وقيل لعتبة بعد موت عاشقها : « ما كان يضرّك لو كنتِ أمتعتيه [3] بوجهك ؟ قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ومخافة الجبار. وان بقلبي أضعاف ما بقلبه. غير اني أجدُ ستره أبقى للمودة واحمد للعاقبة وأطوع للرب وأخفّ للذنب [4] .

فانت ترى ان الحاجز بين الحبيبين هو التقاليد الاجتماعية وخوف الفضيحة اكثر مما هو رادع نفساني داخلي .

والغيرة التي رأيناها شديدة عنيفة في جميل لا نراها عند المجنون أقل شدة وأخف عنفاً . فهو يغارُ عليها من زوجها ، ولماذا ؟ لأنه

---

(١) اخبار النساء ص : ٢٥
(٢) اخبار النساء ص : ٢٥
(٣) كذا في الاصل
(٤) روضة المحبين ص: ٣٧١

يتجاسر على تقبيل امرأته ...

بربك هل ضممتَ اليك ليلى
قبيل الصبح او قبّلت فاهـا ؟
وهل رفّت عليك قرون ليلى
رفيف الافحوانة في نداهـا ؟ [1]

وعندما يجرؤ الزوج المسكين على أن يجيبه نعم يصرخ المجنون ويقبض الجمر بكلتا يديه ويسقط مغشياً عليه فيأكل الجمر لحم راحتيه ويقوم الزوج كئيباً مغموماً !!

وجاء في ديوان المجنون انه التقى مرة وزوج ليلى فتقدم الاخير من قيس وسلّم عليه وأنشد:

ومن عجب جنونك في فتاةٍ
مزوّجة سواك ولـن تراهـا
أيا مجنون كم تهوى بليـلى
كأن الله لم يخلق سواها

فرفع قيس رأسه الى زوج ليلى وأنشد :

أفي كل يوم انت تحظى بقربهـا
وتلثمُ فاهـا ثم تهصرُ ثدياها [2] ؟

---

(١) تزيين الاسواق ١ : ٧٦ الاغاني ١:١٧٦
(٢) كذا في الاصل

وتضم أردافاً ثقالاً وقامة
وتنشقُ من ليلى العشية ريّاها
وفي كل حين انت بالله لازمٌ
محاسنها مستمتعٌ بجلاها .. ؟

وللمجنون اوصاف حسيّة في جمال ليلى واعضائها عضواً عضواً تشكل ، في عرف انصار العذرية ، جرماً لا يغتفر ضد قيس :

أحنّ الى لثم الثغور الضواحك
واهوى عناق البيض لون السنابك
وأصبو الى ذات الصبا عن صبابتي
اذا لم يكن لي في الهوى من مشارك
أرى السمر احلى في فؤادي شمائلاً
من البيض ربات العيون الفواتك [1]

فأنت تراه حريصاً على السمراوات الجميلات حرصه على البيض ربات العيون الفتاكة !! ويظهر ان المجنون كان يحب غير ليلى او هو عرف ، على الاقل ، قيمة المرأة وقدّرها قبل ان يعلق قلبه بحب ليلى وفي ذلك يقول :

محا حبها حب الألى كن قبلها
وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل [2]

---

(١) ديوان مجنون ليلى ص : ١٤٢
(٢) الاغاني ١ : ١٨٤

وكان اذا لقيه احدُ اصحابه او ابناء عشيرته اخذ يلومه ويعنّفه على هذا التشهير بليلى فكان قيس لا يتم ولا يصغي . قال رجل من بني عامر :

رأيت المجنون عند قفوله عـــن البيت الحرام فقلت له : ويحك استشعر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب واعلم أنك لا تصل الى الحبيب الا بالستر ونفيك الشنعة، فان التهتك يقطع مواد الغبطة. وليس للهتوك إلفة . والمستور طويل مدّة الغبطة . فكان جوابه :

ان الغواني قتّلت عشاقهـا
يا ليت من جهل الصبابة ذاقهـا
في صدغهن عقارب يلسعننـا
ما من لسعن بواجد ترياقها
ان الشفاء عناق كل خريدة
كالخيزرانة لا تمـل عناقهـا
بيض تشبّه بالحقاق ثدّيهـا
من عاجة حكت الثديّ حقاقها
يدمي الحرير جلودهن وانمـا
يكسين من حلل الحرير رقاقهـا
زانت روادفها دقاق خصورها
إني أحب من الخصور دقاقها !
إن التي طرق الرجال خيالهـا
ما كنتُ زائرها ولا طرّاقها [1]

(١) الديوان ص : ١٣٨-١٣٩

فهل بعد هذه الاوصاف من شك في ان قائل هذا الشعر انسان ؟ وأنه ليس من طغمات السرافيم او الكرابيم وان منزله الذي كان يسكنه لم يكن السماء ولا المريخ بل كان نجداً بما فيه من آكام رمليـــة ووهاد صحراوية ونخيل وغدران ورواب ومنخفضات ، وطبيعة هادئة ساحرة تطمئن اليها نفوس العشاق فتحملهم عـــلى الاسترسال في حبهم حيث تطيب للنفس مناجاة حبيبهـــا وتأنس الى أليفها !

ونظم المجنون الكثير من مثل هـذا الشعر الصريح الذي ترسله النفس طبيعياً في ساعة خاصة من حياة الشاعر لا تمرّ به دائمـــاً هي ساعة يغمض عينيه عن اشباح هذا العالم ليتطلع الى اعماق نفسه ويرى فيها نفس حبيبه فيتناجيان بألحان عذبة على القلوب الواعية الكبيرة ولكنها تخدش بما فيها من جرأة وصراحة وحب وجمال ، آذان من يدّعون المحافظة على العفة والطهارة والعذريّة !

ان قيساً في قوله :

اذا نظرت نحوي تكلم طرفهـــا
فجاوبهـــا طرفي ، ونحن سكوت

ولو خلط السم المذاب بريقها
واسقيتُ منـــه نهـــلةً ، لبريت

يبدو لي انساناً صحيحاً اقرب الى الكمال الانساني ، منه عندما يصوّره الرواة مجنوناً تائهـــاً في البراري والحقول ، يأكل العشب

ويرعى مع البهائم !

كذلك هو يبدو محباً طبيعياً عندما تقرأ له مثل هذا الشعر :

ومفروشة الخدين ورداً مضرجاً
اذا همشته العين عاد بنفسجا
شكوت اليها طول ليلي بعبرة
فأبدت لنا بالغنج درّاً مفلّجا
فقلت لها منّي عليّ بقبلةٍ
أداوي بها قلبي فقالت تغنجا
بليتُ بردف لست أستطيع حمله
يجاذبُ أعضائي اذا ما ترجرجا

ولكنّ الرواة لا يرضيهم ان يروا إقراراً صريحاً في مثل هذا الشعر فرووه ، مدّعين ان الشاعر ، إنما نظمه ليغيظ زوج ليلى:

فان كان فيكم بعلُ ليلى فانني
وذي العرش قد قبلتُ فاها ثمانيا
وأشهد عند الله أني رأيتها
وعشرون ، منها ، اصبعاً من ورائيا

ولكنّ هؤلاء الرواة ، لله درهم ! ألم يبرئوا عمر ابن ابي ربيعة من الفسق والفجور فيحملوه على التوبة والتنسك في آخر حياته ؟

روى الأصمعي قال :

بصرت الثريا بعمر ابن ابي ربيعة وهو يطوف حول البيت

فتنكرت وفي كفها خلوق فزحمته فأثر الخلوق في ثوبه ، فجعل الناس يقولون : يا ابا الخطاب ما هذا زي المحرّم . فأنشأ يقول :

ادخـــل الله ربُّ موسى وعيسى
جنة الخلد ، مـــن ملاني خلوقا
مسحت كفها بجيب قميصي
حين طفنا بالبيت ، مسحاً رفيقا

فقال له عبدالله بن عمر : مثل هذا القول في هذا الموضع ؟ فقال : « يا ابا عبدالرحمن قد سمعت مني ما سمعت . فورب هذه البنيّة ما حلّت إزاري على حرام قط [1] » فما هو الحرام بعرفه يا ترى !

كذلك ادعى الزبير بن بكار قال : لم يذهب على احد من الرواة أن عمر كان عفيفاً ، يصفُ ولا يقف ويحوم ولا يردُ [2] .

وهذا الذي يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد هو صاحب المجازفات الحبيّة العظيمة والوقائع النادرة التي تملأ اخبارها كتب الادب والتي كانت السبب في تلقينه عن جدارة واستحقاق بلقب « الفاسق »

فكيف يمكننا ان نصدق هؤلاء الرواة وان نعتمدهم اعتماداً كلياً ، خاصة المتحرجين منهم الذين يهمهم ان يتوب جميع الشعراء !

وما ذكرناه لجميل والمجنون من الشعر التهتكي يمكن ذكر مثله لقيس بن ذريح وعروة بن عفراء ، خاصة وان هذين الأخيرين قد

---

(١) روضة المحبين ص: ٣٦٦ - ٣٦٧
(٢) الاغاني ١ : ٥٣

تزوجا وعرفا عن المرأة ما لم يستطع الاثنان الاوّلان معرفته . قال ابن ذريح :

يا اكمل الناس من قرن الى قدم
وأحسن الناس ذا ثوبٍ وعريانا !
نعم الضجيع ، بعيد النوم تجلبه
اليك ممتلئاً نوماً ويقظانا !

وقال :

أتبكي على لبنى وانت تركتها
وانت عليها بالملا انت أقدرُ ؟
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت
عليَّ فللدنيا بطونٌ واظهرُ
لقد كان فيها للامانة موضعٌ
وللكف مرتادٌ وللعين منظر
وللحائم العطشان ريٌّ بريقها
وللمرح المختال خمرٌ ومسكرُ
كأني لها ارجوحةٌ بين أحبلٍ
اذا ذكرةٌ منها على القلب تخطرُ

واصطلح الباحثون في العشق والعشاق واحوالهم على أن قيساً هو رأس اهل الهوى لأنه عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمي بغصّة البعد والفراق . وذلك عند العقلاء ابلغ واعظم وارفع في مقاساة الغرام وافخم . وفيه تلميح بما ذكر في التفضيل بين البشر

والملائكة [1] » . فرئاسة اهل الهوى شيء استحقه قيس لأنه عرف لذة الوصل ثم رمي بغصّة البعد .

والذي يبدو للباحث أن هذا الشرط (معرفة لذة الوصل) اساسيٌ في الحب وفي رئاسة اهل الهوى . وقد صرّح به اكثر علماء العرب وادبائهم من اقدمين ومحدثين . فقد جاء في روضة المحبين « فاللذة التي لا يعادلها شيء لا تكمل حتى يأخذ كل عضو من البدن بقسطه من اللذة فتلتذّ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه ، والأنف بشمّ رائحته ، والفم بتقبيله ، واليدّ بلمسه ... وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها وتقابله من المحبوب . فان فُقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له ، فلا تسكن كل السكون . ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس اليها [2] . قال الله تعالى : «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها [3]».

كذلك رأى العرب ان المسألة طبيّة... « اتفق رأي العقلاء من الاطباء وغيرهم في مواضع الادوية ان شفاء هذا الداء (داء المحبين) في التقاء الروحين والتصاق البدنين [4] لذلك نرى ان ابن قيم الجوزية ، وهو من اعمق علماء العرب في دراسة الحب وتحليله، يستشهد باحاديث

---

(١) تزيين الاسواق ١ : ٦٢
(٢) روضة المحبين ص:٢٣٣
(٣) سورة الروم الآية٢١
(٤) روضة المحبين ص : ٢٢٨

النبي الكريم التي تحبّذ الزواج وتحثّ عليه مثل الحديث : « لم ير للمتحابين مثل النكاح [1] » ويقول ابن الجوزية : « كان النبي يختار النكاح ويحثّ عليه، ونهى عن التبتّل ، فمن رغب عن سنّة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق [2] .

واذا عدنا ندرس بعض علمـــاء الاجتماع والمفكرين الغربيين الحديثين نجد ان قسماً كبيراً منهم يدّعي بان اساس الحب هو الشهوة الجسدية وانه ليس هناك فاصل يميز هذه الشهوة عن الحب .

« والغريب ان كل عاشق حاول ان يخلق الحب خلقاً جديـداً ويبدعه إبداعاً مستقلاً يتفق مع ميوله واهوائه . ومع ذلك فقـد ظل الحب هو هو لا يتغير، طلّ غريزة جنسية تجملها أفانين الخيال وتلطفها وتخفف من حدّتها وتحمل الانسان على تناسيها او نسيانها [3] .. »

وخصّ الفيلسوف شوبنهور الحب الجسدي ببحث مستفيض قال فيه:

« إن الشعراء في كل زمان ومكان ، تغنوا بهذا الحب الجسدي في اشعارهم واقبلت الشعوب في كل العصور على هذا الشعر . وهذا برهان ساطع على ان هذا الحب هو حق وإلا لما اقبلت عليه الشعوب على اختلاف انواعها [4] »

---

(١) نفس المصدر السابق

(٢) روضة المحبين ص : ٢٣٠

(٣) مدام دي تنير تاريخ الحب ص : ٥

(٤) Schopenhauer - Selections ص : ٣٣٣

ثم يقول في مكان آخر: « ان العنصر المهم في الحب ليس في الحب المتبادَل بل في امتلاك الحبيب بل في اللذة الجسدية [1] .

وهذا القول صريحٌ لا يقبلُ الشرح والتأويل وهو قولٌ جريء رغم مناقضته ما جاء عن افلاطون في كتابه المائدة . وقام في اوربا أنصار كثيرون لشوبنهور يدينون بنظريته هذه ، منهم الاطباء والعلماء ، والروائيون امثال فكتور مرغريت الفرنسي في كتابه « الغلامة » ، ومثل د. ه. لورنس الانكليزي في روايته « عشيق اللادي شاترلي » ، وماري ستوبس في كتابها « الحب والزواج » . ولسنا في معرض تشريح هذه النظريات وإن كانت جديرة بالدرس والتشريح خوفاً من الأطالة والخروج عن هدفنا الاساسي . ولكن لا بد من القول إن الحب الجسدي الذي يخافه جماعة العذريين هو عنصر مهم في حياة الحبيبين وإنه ضروريّ وإن لم يكن هو الغاية الاساسية من الحب ... نقول ذلك ونلحّ بصورة خاصة على الشطر الأخير منه وهو: أن غاية الحب ليست مطلقاً في الحب الجسدي .

●

وليعلم شباب بلادي الذي يحصر الحب في نظرة من عينيه ، او لمسة من يديه ، او خفقة من فؤاده ، أن الشاب مهما تبذل وانحط في حبه ، ومهما عبث بالنساء وأراق على مذبح فجوره وآثامه دم فؤاده

---

(١) نفس المصدر السابق ص : ٣٣٨

وعصارة شبابه ، فلن يجد السعادة الصحيحة القصوى والحياة الهادئة الرحبة إلا في حب امرأة واحدة حباً روحانياً صادقاً كاملاً ...

وللشباب العربي الطالع ، ومن قلبه الذبيح المحموم ، قطعٌ مدمّاة ، على كل درب وفي كل زاوية ، لهذا الشباب التائه في دروب الحب والجمال ، قدوةٌ ومثالٌ في هؤلاء الشعراء العذريين . فهم شعراؤنا وقد نبضت قلوبهم كما تنبض قلوب الانسانية الحساسة فعاشوا انسانيين في حبهم فلم ينحطّوا ولم يتبذّلوا فيتحوّل حبهم الى شهوة ملحة غاصبة بل ارتفعت بهم شهواتهم الجسدية فأصبحت حباً انسانياً شريفاً كاملاً !

المصادر حسب ترتيبها التاريخي

●

أفلاطون ، مائدة افلاطون ، كلام في الحب . نقل محمد لطفي جمعه . مصر مطبعة التأليف .

عروة بن حزام ، ديوان عروة بن حزام واخباره . مخطوطة في حوزة الاستاذ جبرائيل جبور كتبت سنة ١٣٢٠ ﻫ .

مجنون ليلى ، شرح ديوان مجنون ليلى لمحمود كامل فريد . مصر مطبعة مصطفى محمد .

جميل بثينة (٨٢ ﻫ) ديوان جميل بثينة جمع بشير يموت . بيروت المطبعة الوطنية سنة ١٣٥٢ ﻫ .

ابن ابي ربيعة (٩٣ﻫ) ديوان عمر ابن ابي ربيعة نشر Paul Shwarz ليبسك سنة ١٣١٨ ﻫ .

ابن سلاّم (٢٣١ ﻫ) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي . ليدن سنة ١٩١٣ ﻫ .

الجاحظ (٢٥٥ ﻫ) مجموعة رسائل لابي عثمان عمر الجاحظ .

ابن قتيبة (٢٧٦ ﻫ) الشعر والشعراء لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . مطبعة الفتوح مصر سنة ١٣٣٢ ﻫ .

ابن قتيبة (٢٧٦ ﻫ) عيون الاخبار – دار الكتب . مصر سنة ١٣٤٩ .

المبرّد (٢٨٥ ﻫ) الكامل لابي العباس محمد بن يزيد الأزدي . ليبزك سنة ١٨٧٤ م .

الاصفهاني (٣٥٦ ﻫ) الاغاني لابي الفرج علي بن الحسين. مصر ، بولاق سنة ١٢٨٥ ﻫ .

القالي (٣٥٦ﻫ) الامالي لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي . مصر ، بولاق سنة ١٣٦٨ ﻫ .

السراج (٣٧٨ ﻫ) اللمع في التصوف لابي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي. ليدن سنة ١٩١٤م .

المرزباني (٣٨٤ ﻫ) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لمحمد ابي عبيدالله المرزباني . مصر المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ ﻫ .

ابن النديم (٣٨٥ ﻫ) الفهرست لمحمد بن اسحاق الورّاق المعروف بابن النديم . مصر المطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٨ ﻫ .

الحصري (٤٥٣ ﻫ) زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحاق الحصري القيرواني . نشر زكي مبارك . مصطفى محمد .

السراج (٥٠٠ﻫ) مصارع العشاق للشيخ ابي محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج . القسطنطينية سنة ١٣٠١ ﻫ .

الاصبهاني (٥٠٢ﻫ) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لابي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني. مصر المطبعة الشرقية سنة١٣٢٦ﻫ.

الشريشي (٥١٩ﻫ) شرح المقامات الحريرية لابي العباس احمد بن عبدالمؤمن الشريشي ، مصر بولاق سنة ١٣٠٠ ﻫ .

ياقوت الرومي (٦٢٦ﻫ) ارشاد الاريب الى معرفة الاديب او معجم الأدباء لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي . اعتنى بتصحيحه الاستاذ مرغليوث ، مصر مطبعة هندية سنة ١٩٢٥ م .

ابن خلكان (٦٨١ ﻫ) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان للقاضي احمد ابن محمد بن خلكان ، مصر بولاق سنة ١٢٧٥ ﻫ .

ابن ابي حجلة (٧٢٥ ﻫ) ديوان الصبابة لاحمد ابن ابي حجلة المغربي على هامش تزيين الأسواق ، بولاق سنة ١٢٩١ ﻫ .

النويري (٧٣٣ ﻫ) نهاية الارب في فنون الادب لاحمد بن عبد الوهاب النويري . دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢ ﻫ .

ابن قيم الجوزية (٧٥١ه) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لأبي عبدالله محمد ابن ابي بكر ابن قيم الجوزية . دمشق ، مطبعة الترقي سنة ١٣٤٩ه .

ابن القيم الجوزية (٧٥١ه) اخبار النساء . مصر سنة ١٣٠٧ه مطبعة التقدم.

الابشيهي (٨٥٠ ه) المستطرف في كل فن مستظرف لأحمد الابشيهي مصر بولاق سنة ١٢٩٢ه .

الاصفهاني (٥٩٠ه) الزهرة ، تأليف ابي بكر محمد بن ابي سليمن الاصفهاني نشر نيكل . بيروت مطبعة اليسوعيين سنة ١٩٣٢ م .

الانطاكي (١٠٠٨ ه) تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لداود الانطاكي . مصر بولاق سنة ١٢٩١ ه .

البغدادي (١٠٩٣ه) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي بولاق سنة ١٢٩٩ ه .

طه حسين : حديث الاربعاء . مصر مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٤ ه .

محمود البشبيشي : الفرق الاسلامية . مصر المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٠ه .

جبرائيل جبور : عمر ابن ابي ربيعة . بيروت المطبعة الأميركانية .

مارسيل تنير: تاريخ الحب ترجمة ابراهيم المصري . دار الهلال سنة ١٩٣٧م.

عبدالله غانم : كتاب الاجيال . مطبعة العرائس بكفيا .

عبد اللطيف الطياوي : التصوّف الاسلامي العربي . مصر دار العصور سنة ١٩٢٨ م .

1 — B. Jowett. The Dialogues of plato 1889
2 — De witt H. Parker. Schopenhauer-selections 1928
3 — Larousse du XX siècle par P. Augé

ملاحظة: هذا الكتاب لا يكون كتابنا لانه لا يوجد صواب او عذري لان العاشقه والمعشوقه يعيشان جنونا" ومما يترتب عن عوارض الاداب العامه اي يعيشان مجبرين لذلك ينتفي العذري ، وفي هذه الحالة اي حالة "العشق" يشترك كل واحد منهم الآخر ، ولكنهما يفترقان مكتوبي اليدين تماثل العذراء العذري في هذه الحالة؟ اما العذراء العذري الحقيقي فانه يوجد بين الام وابنها اوبين الاب وابنته لانه لا يحبون احد الجنسين

فهرست الموضوعات

●

دنيا الاساطير ــ لمحة تاريخية في العشق عند الامم القديمة	٩
عصارة السحر ــ العشق عند العرب	١٧
سراب الصحراء ــ الحب العذري	٣٩
عالم الآلهـــة ــ الحب الافلاطوني	٤٩
المجانين العباقرة ــ الشعراء العذريون	٦٤
المآخذ حسب ترتيبها التاريخي	١٢٥

انتهى طبع هذا الكتاب
على مطابع عز الدين

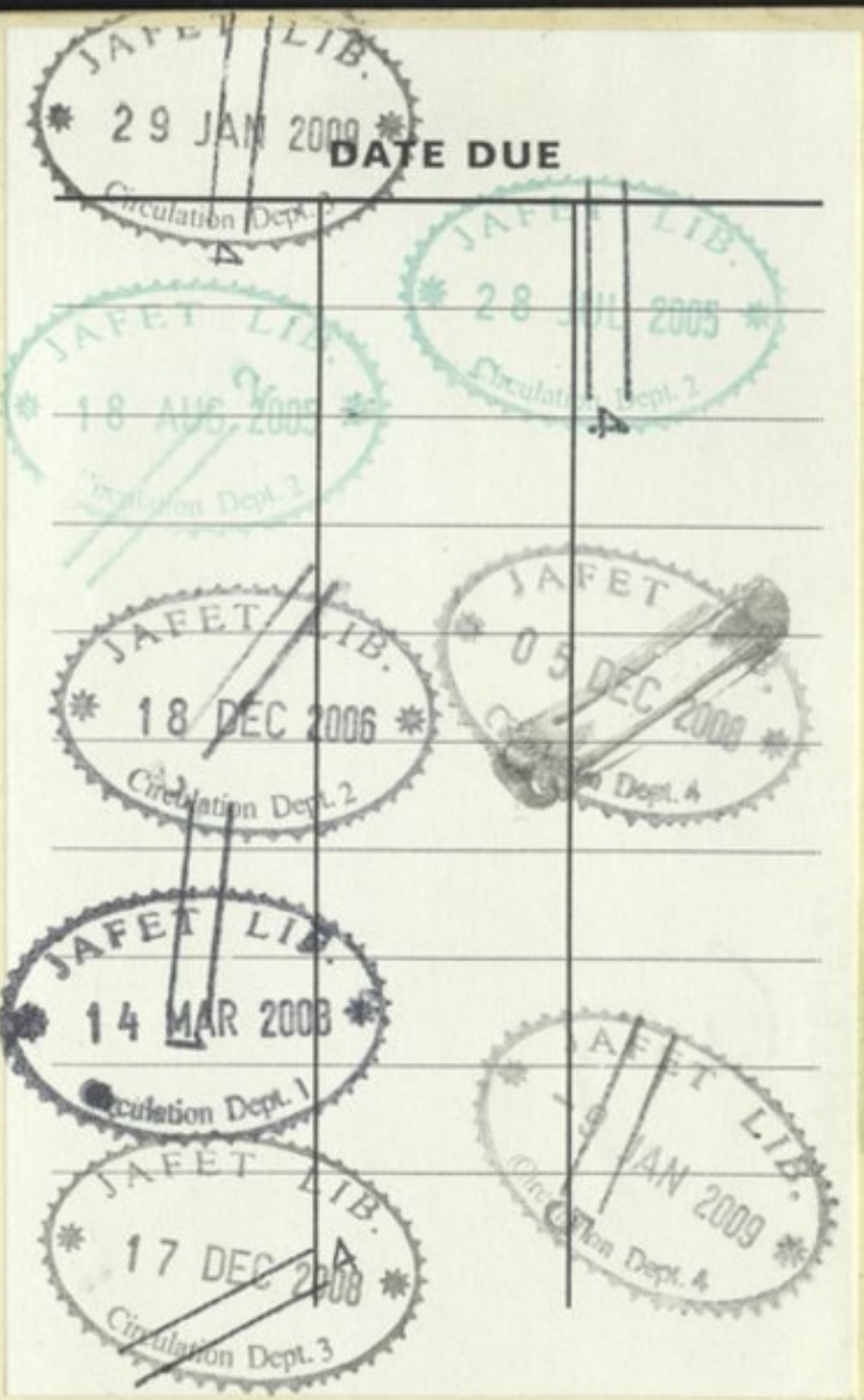
DATE DUE
JAFET LIB.
29 JAN 2009
Circulation Dept.
JAFET LIB.
18 AUG 2005
Circulation Dept. 2
JAFET LIB.
28 JUL 2005
Circulation Dept. 2
JAFET LIB.
18 DEC 2006
Circulation Dept. 2
JAFET
05 DEC 2008
Dept. 4
JAFET LIB.
14 MAR 2008
Circulation Dept. 1
JAFET LIB.
17 DEC 2008
Circulation Dept. 3
JAFET LIB.
JAN 2009
Circulation Dept. 4

177.6:Su94h2A:c.1
سليمان، موسى
الحب العذري
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002074

177.6
Su94h2A
C.1